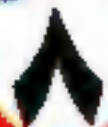


روايات مصرية للجيب -

طيور بلا أجنحة

زهور



Looloo

www.dvd4arab.com



الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
التوزيع والنشر والتوزيع

بالتعاون مع مؤسسة الحديثة - القاهرة - ٢٠٠٤

■ من نسر (سبعة) إلى القاعدة .. انتهت المهمة
التدريبية .. أطلب الإذن بالهبوط .

قال (عماد) هذه العبارة في نبرات تفيض فخراً ،
وهو يميل بعضا القيادة في طائرته المقاتلة إلى أسفل ، ومالت
الطائرة في مهارة ، كنسر ضخمة يشق عباب السماء ، وهي
تتوجه إلى قاعدتها ، وعبر أجهزة الاتصال المثبتة على أذني
(عماد) ، جاءه الجواب :

— من القاعدة إلى نسر (سبعة) .. يمكنك الهبوط ..
تصحبك السلامة .

لم يملك ضباط المراقبة في القاعدة ، إلا أن يتابعوا
هبوط طائرة (عماد) في إعجاب ، واعترف كل منهم
في أعماقه أن هذا الرائد الشاب ، من أمهر طياري القوات
الجوية المصرية ، وأكثرهم شجاعة وجسارة .

ازداد الإعجاب في أعماقهم ، حينما توقفت عجالات
الطائرة فوق مهبطها ، وأزاح (عماد) غطاء كابينة القيادة ،

طيور بلا أجنحة

بين الغيوم يحوب أجواز الفضاء
طير يشق عباب كون في اشتاء
حتى أتى يوم أحاط به البلاء
سقط الجناح وضاع في القلب الرجاء
لكن قلب الطير لم يبع العزاء

ولم تذل عيناه من دمع البكاء
فانخر لا يخنو إن ذاق الدماء
والنسر لا يبكي وإن حرم السماء
(نبيل)

ثم قفز إلى جناح الطائرة، ومته إلى أرض المطار في رشاقة
أنيقة ..

كان جسده مثالاً للوسامة والقوة والفتوة، فهو طويل
القامة دون إفراط، عريض المنكبين، واضح القوة،
والحيوية والنشاط، أما وجهه فهو مستطيل أبيض البشرة،
يكلله شعر فاحم ناعم قصير، وتزينه عينان زرقاوان في
لون البحر، وهو حليق الوجه، تبدل في نظراته
علامات الفخر، وهو يسير منتصب القامة، واسع الخطا..
كان (عماد) يشعر بالفخر، لأنه واحد من نسور
مصر ..

منذ التحاقه بكلية الطيران وهو يشعر بهذا الفخر ..
بل منذ طفولته وهو يشعر وكأنه لم يخلق ليسير على
قدميه، بل ليشارك النسر تحليقها وقوتها ..

كان مجموعته في الثانوية العامة يؤهله للالتحاق بأية
كلية يشاء، وعبثاً حاولت والدته إقناعه بدخول كلية
الطب، ولكنه لم يستطع إلا أن يلجئ ذلك النداء القوي
في أعماقه ..

***** 6 *****

نداء السماء ..

جسده الرياضي المشوق، ورغبته الشديدة، عاوناه
على اجتياز اختبارات القبول العسيرة في الكلية الجوية ..
ما زال يذكر المرة الأولى، التي جلس فيها داخل
كابينة قيادة طائرة التدريب ..

يومها امتلأ جسده بالنشوة، وتدفقت في عروقه
دماء الحماس، ولكنه لم يشعر بالغربة، أمام كل تلك
الأجهزة المعقدة ..

تعامل معها، منذ الوهلة الأولى، في سلاسة أثارت
إعجاب مدربه، وفاق أقرانه كلهم في الطيران ..
كان يخلق بطائرته، وكأنما تعلم ذلك منذ نعومة
أظفاره ..

وكانت الطائرة تستجيب له، وكأنما نشأت بينهما
ألقة، أو رابطة قوية لا تنفصم ..

في كل مناورة اشترك فيها أثار انبهار الجميع ..
كان ينطلق بطائرته في مهارة، وينزل بها في أشق
الظروف، وأحلك المواقف، كأنما كان يسير على قدميه
فوق طريق ممهد ..

***** 7 *****

في كل مناورة كان يحسد القدامى ، الذين منحت
لهم الظروف للاشتراك في قتال حقيقي ..

كان يحسد أبطال أكتوبر ، الذين وجهوا الضربة
الأولى للعدو ، والذين كان لهم الفضل الأول في النصر ..

غرفته في منزل والديه كانت تمتلئ بصور هؤلاء
الأبطال ممهورة بتوقيعاتهم ، وبالعديد من صور الطائرات
المقاتلة الحديثة ..

طائرته المقاتلة كانت معشوقته الأولى ، فهو دائم
العناية بها ، وكثيراً ما شاهده رفاقه وهو يربّت عليها في
حنان ، أو يهمس لها بكلمات لم يفهمها أحد ، وكأنها
كائن حي يفهمه ، ويستجيب له ..

ولقد زين مقسمة طائرته برسم أنيق لنسر مفرد
الجناحين ، ومن العجيب أن البعض كان يرى شياً عجيباً
بين ملامحه ، وملامح ذلك النسر ، حتى أنهم أطلقوا على
(عماد) لقب (النسر) ..

كان هذا هو اللقب الذي حادثه به رفيقه (فتحى) ،

***** ٨ *****

حينما استقبله في (ميس) الضباط (٥) ، قائلاً في مرح :
— كيف حالك أيها النسر ؟ .. لقد كنت رائعاً في
مناورة اليوم .

ابتسم (عماد) في سعادة لهذا الإطراء ، وقال :
— إنها مجرد مناورة يا صديقي .. كم أتوق لقتال
حقيقي .

ضحك (فتحى) في مرح ، وقال :
— فلنحمد الله أن أمنيته لم تتحقق أيها النسر ، فأنا
أفضل السلام .

ابتسم (عماد) ابتسامة باهتة ، على حين استطرد
(فتحى) :

— هل تشاركني طعام الغداء ؟

هزّ (عماد) رأسه نفيّاً ، وقال في هدوء :

— كلاً .. سأكتفى بكوب من الشاي الساخن .

قال عبارته وهو يلتقط منديله من جيب سترته العلوي ،
وحينما أخرجه سقطت من جيبيه صورة فوتوجرافية ملونة ،

(٥) ميس الضباط : هو المكان الذي يتناول فيه ضباط الجيش وجباتهم
النذائية .

***** ٩ *****

انزلت إلى ما فوق المائدة ، واستقرت أمام (فتحى) ،
الذى شق في إعجاب وهو يهتف :

— يا إلهى !! هل توغلت في السماء : إلى حيث تقطن
الملائكة ، واختطفت هذه الصورة .

أسرع (عماد) بختطف الصورة من أمام صديقه ،
وهو يقول في فخر :

— إنها خطيبتى (فريال) .

رفع (فتحى) حاجبيه ، وهتف :

— خطيبتك ؟ .. يا لك من محظوظ !! إنها أجمل فتاة
وقعت عليها عيناي .

تأمل (عماد) صورة (فريال) وهو يتسم في سعادة ،
وعغم في أعماقه : كم هو صادق صديقه هذا ..

كانت (فريال) من أجمل الفتيات اللاتي يمكن أن
تراهن في عمرك بأكمله ..

لإنها مستديرة الوجه ، ذات بشرة ناعمة بيضاء ،
تشوبها حمرة خفيفة ، تشي بحيويتها ونضارتها ..

شعرها بني مائل إلى الحمرة ، ينسدل ناعماً كالحرير
على كتفها ..

***** ١٠ *****

عينها ذهبيتا اللون ، واسعتان ، تظللها رموش بنية
كثيفة ، ويعلوها حاجبان رفيعان كإطار من الذهب ..
شفتاها فاكهة ناضجة ، تتدفق فيهما دماء حمراء قانية ،
فتمتلكان في اعتدال ..

عنقها ممتد جميل في تناسق ، قل أن تلمحه العين وسط
المئات من الفتيات ..

كانت حقاً يارعة الحسن ..

أعاد (عماد) صورة (فريال) إلى جيبه ، وهو يعود
بذاكرته إلى لقائهما الأول ..

كان ذلك منذ ستة أشهر ، في حفل زواج بنادى
الضباط ..

يومها كان (عماد) يرتدى ثلثته الرسمية ، التى يزين
جيبها ذلك النسر المميز لرجال القوات الجوية ، وكان شديد
الوسامة ، بما صنعه ذلك التوافق الأنيق بين لون ثلثته
الزرقاء ، وعينه ..

يومها التقت نظراته بنظرات (فريال) ، وتآلق في
عيني كل منهما الانبهار بالآخر ..

***** ١١ *****

بهره جمالها الفتان النادر .. وبهرها زيه الرسمي الذي
يرز وسامته ..

كان من السهل عليهما - يومئذ - أن يتحدثا ،
ففعلا ..

لم يمض شهر واحد على هذا اللقاء ، حتى كانت
دبلته تزين أصابعها ، وتمت خطبتهما في بسر ..
خمسة شهور منذ خطبتهما ، و (فريال) تتأمله في
انبهار ، وهو يرتدى زيه الرسمي ..

كانت تصر دائماً على أن يزورها ، ويتنزّه معها
وهو يرتدى حلته الرسمية ، والنسر الذهبي يلتمع على كتفيه ،
وفوق صدره ..

وكان هو يشعر بالفخر لذلك ..

كان يشعر بالفخر لأنه نسر .. ولأنها أحبته ..

انتزعه (فتحى) من ذكرياته ، وهو يسأله :

- هل ستترك كوب الشاي يبرد ؟

تنبه (عماد) إلى كوب الشاي الموضوع أمامه ،

فارتشفه في سرعة ، ونهض قائلاً :

- معذرة يا صديقي .. سأنصرف الآن ، لأننى مدعو
للغداء في منزل خطيبتي .

تأمله (فتحى) في إعجاب ، وقال مبتهماً :

- لن أعوقك عن ذلك يا صديقي .

ثم أردف في مرح :

- إلى اللقاء أيها النسر .



طرق (عماد) باب منزل (فريال) ثلاث طرقات
رصينة هادئة كعادته ، ثم وقف منتصباً ينتظر أن تفتح
هي الباب ..

ابتسم في سعادة عندما فتح الباب ، وهو يتوقع رؤية
خطيبته ، ولكنه فوجئ بفتاة أخرى رقيقة الجسد ، سوداء
الشعر ، تهلت أساريرها حينما رآته ، ثم أسبلت جفניה
في حياء ، وهي تقول :

- مرحباً يا كابتن (عماد) ، أنت دقيق في مواعيدك
كالعادة .

ابتسم (عماد) وهو يتأمل وجهها النحيل ، الذي
تخضب بحمرة الخجل كعادتها كلما رآته ، وتأمل ابتسامتها
الرقيقة ، وشفيتها الرقيقتين ، ونغم :

- كل النسور يحافظون على مواعيدهم يا (نادية) .
كان يعرف (نادية) منذ خطب (فريال) ، فهي
صديقتها منذ الطفولة ، ولكنه لم يكن يتوقع رؤيتها اليوم ،
فسألها وهو يعبر إلى داخل المنزل :

- أين (فريال) ؟

أجابته (نادية) في رقة :

- إنها تنتظرك في الداخل ، ولكنني كنت الأقرب
إلى الباب .

كانت عبارتها تحمل بعض الاعتذار ، فابتسم وهو
يقول :

- حسناً يا (نادية) .. إني أسعد برؤيتك أيضاً .
خيل إليه أن عينيها قد تألقتا بسعادة غامرة ، لم تلبث
أن توارت خلف خجلها ، الذي جعل الدماء تتصاعد إلى
وجهها ، وهي تسرع إلى الداخل في ارتباك ، وتقول في
صوت منفعلي :

- لقد حضر الكابتن (عماد) يا (فريال) .
نسي (عماد) كل شيء عن (نادية) ، عندما برزت
(فريال) في ثوب أزرق ، موشى بخيوط ذهبية ، أضفت
مزيداً من التألق على عينيها ، اللتين امتلأتا بالإعجاب ، وهي
تأمل وسامته في زيه العسكري ، وتقول :

- مرحباً يا (عماد) .. لقد أوحشتني كثيراً .

احتضن كفها بين راحتيه ، ونغم في حنان :
- وأنت أيضاً يا (فريال) .

قالت (نادية) وهي تلتقط حقيبتها الصغيرة :
- أعتقد أنه قد حان الوقت لانصرافى .

هتفت (فريال) في حماس :
- هذا مستحيل .. سنتناولين معنا طعام الغداء .

ثم التفتت إلى (عماد) تسأله :

- أليس كذلك يا (عماد) ؟

استدار (عماد) إلى (نادية) ، وقال في ابتسامة

زادت ملامحه وسامة :

- بلا شك .

أدهشته تلك النظرة المتألقة في عيني (نادية) ،
وتساءل عن سر كل ذلك الخجل الذى يعترىها كلما التقت
نظراتهما ، ولكن عقله سرعان ما أهمل هذا التساؤل للمرة
الثانية ، حينما أسرع أم (فريال) لتحيته ، وجاء والدها
يشد على يده في حرارة ، وتسامر الجميع بعض الوقت ،
حتى حان موعد الغداء ..

اشترك الجميع في حوار مرح في أثناء تناول الغداء ،
باستثناء (نادية) ، التى ظلت صامتة ، تتأمل (عماد)
و (فريال) ، وتبتسم حيناً ، ثم يتخضب وجهها بحمرة
الخجل حيناً آخر .. ومن العجيب أن أحداً لم ينتبه إلى
صمتها ..

لم يكن أحدهم يدري أنها غارقة حتى أذنيها في حب
(عماد) ..

كان حبها له يختلف .. فهي لم تعشق زيه الرسمى ،
ولم تعشق وسامته الواضحة ، وإنما عشقت أعماقه ..

هى الوحيدة التى رأت فيه ما لم ينتبه إليه الآخرون ..
رأت ذلك الدفق من الحب والحنان فى أعماقه ..

كم حسدت صديقتها (فريال) على (عماد) ..

كم تمنّت لو أنها حظيت به ..

كثيراً ما راودتها الأحلام بأنه يحبها ..

كان خطيب صديقتها فى الحقيقة ، وحبها هى فى
عالمها الخاص ..

كلما التقت به أو نظرت إليه ، راودتها أحلامها ،
فتصاعد دماء الخجل إلى وجنتيها ..

صداقتها القديمة لـ (فريال) ، كانت تصنع بينهما
حاجزاً يصعب إزالته ، فاكثفت برؤيته مع (فريال) ..
اكتفت بأحلامها ..

كانت تتأمله في عشق وهو يتناول بعض الفاكهة ،
عندما هتفت (فريال) في حماس :

— ما رأيك أن نذهب إلى النادي (يا (عماد) ؟

ابتسم (عماد) ، وقال في هدوء :

— لا بأس .. سأذهب إلى منزلي لأبدل ثيابي ، ثم ..

قاطعتها (فريال) في عصبية :

— كلاً .. سنذهب معي هكذا .

نظر إليها (عماد) في دهشة ، وقال :

— إن ذهابي إلى المنزل ، وإبدال ثيابي لن يستغرق

نصف ساعة على الأكثر .

عقدت (فريال) حاجبها ، وقالت في عناد :

— كلاً .. أريد أن يراك أصدقائي في زيك هذا .

ابتسم (عماد) في فخر ، وقال :

— حسناً يا (فريال) .. سأذهب معك هكذا .

***** ١٨ *****

نهضت (نادية) ، وهي تقول في ارتباك :

— سأصرف أنا و

قاطعتها (فريال) :

— انتظري يا (نادية) .. سنوصلك إلى منزلك في

طريقنا ..

شعرت (نادية) بغيرة شديدة ، وهي تجلس في المقعد

الخلقي لسيارة (عماد) الصغيرة ..

لقد تناسى (عماد) و (فريال) وجودها تماماً ،

وهما يتبادلان حديثاً عاطفياً في المقعدين الأماميين ..

شعرت بالحقق وهما يهملان وجودها تماماً ، ويتناجيان

كما لو كانا بمفردهما ..

كانت (فريال) تتحسس النسر الذهبي فوق كتف

(عماد) ، وتقول في همس :

— كم يبهرنى مراك في هذا الزمى يا (عماد) !!

أدار (عماد) وجهه إليها ، وقال في عاطفة مشبوبة :

— أنت تبهريتنى في كل الأحوال يا (فريال) ..

ابتسمت (فريال) في غرور ، وقالت بدلال :

***** ١٩ *****

— لا تبألف .

هتف فى حماس :

— أبألف ؟! .. إتنى حتى لم أذكر كل الحقيقة .

ثم أردف فى نشوة :

— لقد سقطت صورتك من جيبى هذا الصباح ،

ورأها صديقى (فتحى) .. هل تدرين ماذا قال عنها ؟

سألته (فريال) فى لهفة ودلال :

— ماذا قال ؟

تأملها (عماد) بطرف عينه ، وهو يقول :

— قال : إتنى أأمل صورة واحدة من حوريات

الجنة .

أزاحت (فريال) خصلة نافرة من شعرها الناعم .

وهى تقول فى دلال :

— أنت تقول هذا لتفرحنى .

التفت إليها (عماد) ، وهو يقول فى حماس :

— أقسم لك أن هذا ما أأحدث بالضبط .

جاءت التفاتته إليها فى وقت غير مناسب على

الإطلاق ..

جاءت وهو يعبر منحنى شديد الخطورة ، وسط

زحام رهيب من السيارات ..

لم ينتبه هو إلى الأمر ، فقد كان يلتهم جمال (فريال)

بعينه ..

ولم تنتبه (فريال) ، فقد كانت سكرى بكلمات

الحب والإطراء ، التى يلقيها على مسامعها ..

(نادية) هى التى انتبعت إلى السيارة الضخمة ، التى

يندفع نحوها (عماد) بسيارته الصغيرة ، فصرخت

فى ذعر :

— انتبه يا (عماد) .

استدار (عماد) إلى الطريق فى سرعة ، وثبقت

حواسه كلها ، وانتقلت قدمه إلى (فرامل) سيارته ، ولكن

ذلك لم يمنع الاصطدام ..

صحيح أن الاصطدام جاء أقل مما كان متوقفاً ، نظراً

لمهارة (عماد) ، ولكن توقف السيارة المفاجئ دفع به

إلى عجلة القيادة ، وارتطم صدره بكفه المسككة بها ،

وكذلك اندفعت (فريال) إلى الأمام ، وارتطم رأسها بزجاج

السيارة ..

السيارة ارتطامة خفيفة ، أما (نادية) ، فقد اصطدمت
رأسها بحاجز المقعد الأمامي ، وجرحت جبهتها ، وسالت
منها الدماء ..

اندفع سائق السيارة الضخمة ساخطاً نحو (عماد) ،
الذي ابتدره قائلاً :

— لا داعي للصباح .. أنا المخطئ ، وسأتكفل
بالإصلاحات اللازمة .

أزال أسلوبه المهذب غضب سائق السيارة ، الذي غمغم :
— لا عليك .. إنها إصابات بسيطة .

انتحي (عماد) جانباً بسيارته ، وهتفت (نادية)
في قلق :

— هل أصابك مكروه يا (عماد) ؟

غمغم دون أن يلتفت إليها :

— لا أعتقد ذلك .

على حين صرخت (فريال) في غضب :

— ألا تنتبه وأنت تقود السيارة ؟ .. لقد أفسدت

(مكياجى) ، وتصفيقة شعري .

غمغم (عماد) في ضيق :

— يمكننا أن نعود إلى المنزل لإصلاح (مكياجك)

يا (فريال) .. لن يستغرق ذلك طويلاً .

صرخت في غضب :

— هذا ما تظنه أنت !! إنتى لن أذهب إلى النادي

اليوم .

أساءه أن تحدثه بهذا الأسلوب ، فأشاح بوجهه عنها ،

والثقت إلى (نادية) ، وقال :

— معذرة يا (نادية) !! ستتأخرين قليلاً عن العودة

إلى منزلك .

ابتسمت (نادية) ، وهى تقول :

— لا بأس يا (عماد) .. لا بأس ..

هتف في جزع ، وهو يلوح خيط الدم ، المنسال

من جرح جبهتها !

— يا إلهى !! أنت تنزفين .

أسعدتها لمفته عليها ، فغمغمت في فرح :

— لا بأس .. المهم أنك بخير ..

٣ - السماء لا ترحم ..

رفع طبيب القاعدة الجوية عينيه ، يتأمل الشاب الوسيم ،
الذى يقف أمامه ممشوق القوام ، في زيه الرسمي الأزرق ،
وأشار إلى المقعد المقابل لمكتبه ، وهو يقول :

- اجلس أيها الرائد (عماد) .

جلس (عماد) بطريقة آلية ، وانبعثت من عينيه
نظرة ملؤها اللهفة والقلق ، وهو يسأل الطبيب :

- ماذا وجدتم يا سيدي ؟

تأمله الطبيب مرة أخرى ، على نحو خيل لـ (عماد)
أنه يحمل بعض الإشفاق ، ثم دفن عينيه في الأوراق ،
والتقارير المتراصة أمامه « وكأنه يفر من عيني (عماد) ،
وقال في لهجة حاول أن يضمني عليها الجدية والرصانة :

- الفحوص الطبية التي أجريناها « تؤكد أن أعصاب
الكف قد أصيبت ببعض الأضرار يا (عماد) .

ازدرد (عماد) لعابه في صعوبة « ونغم في قلق :

- وماذا بعد ؟

أسرع يدير محرك سيارته « وهو يقول :

- لا بد أن نسرع إلى أقرب مستشفى لتضميد جراحك .

لم يكده يمسك عجلة القيادة ، حتى شعر بآلام مبرحة
في معصمه ، وسأله (نادية) في قلق :

- هل أصابك مكروه ؟

نغم في قلق لم يستطع إخفاءه :

- لا أعتقد .. إنها مجرد كدمة بسيطة ..

ثم أردف في نوتر :

- أعتقد أنها كذلك :



رفع الطيب عينيه إلى (عماد) ، ثم عاد يفرّ بهما مرة ثانية إلى الأوراق ، وهو يغمغم :

— ستحتاج إلى فترة طويلة من العلاج الطبيعي ، مع بعض الأدوية و

قاطعة (عماد) على نحو لا يتفق مع فارق الرتب بينهما ، قائلاً في لهفة :

— وماذا عن العمل ؟

انتقل قلعه إلى الطيب ، الذي قال في صوت خافت :

— أعتقد أنك ستواصل عملك في القاعدة ولكن

بتر الطيب عبارته ، على نحو فجّر كل يتابع القلق في نفس (عماد) ، الذي شحب وجهه وهو يسأله في صوت متحشرج :

— ولكن ماذا ؟

ساد الصمت بينهما فترة ، وكلاهما يحدّق في عيني الآخر ، ثم خفض الطيب رأسه ، وقال في أسف :

— لن يمكنك الطيران مرة أخرى يا ولدي ..

خجل لـ (عماد) أن الدماء قد ترفقت كلها في عروقه ..

خجل إليه أن قلبه قد أنصت لحظة لهذا الجبر ، الذي هوى عليه كالصاعقة ، ثم اندفع ينبض في قوة كادت تمزّقه إرباً ..

حدّق طويلاً في وجه الطيب ، وكأنه لم يفهم عبارته ..

نغم في شحوب ، جعل صوته خافتاً إلى حد كبير :

— مطلقاً ؟ ! ..

ترقرقت دمة إشفاق في عيني الطيب « وهو يقول :

— مطلقاً يا ولدي .. لم تعد يدك بقادرة على

الاستجابة السريعة ، ولن يمكنك المناورة بطائرتك بعد الآن ..

هال الطيب ذلك الشحوب المذهل الذي أصاب (عماد) ..

ذلك الشحوب الذي أحال وجهه إلى صفحة بيضاء ناصعة ..

لم يصدّق (عماد) ما تسمعه أذناه ..

لم يصدّق أنه لن يمتطي طائرته مرة ثانية .

كان الطيران هو حياته كلها ..

حياته ، وآماله ، وأحلامه ، ومستقبله ..

لم يكن باستطاعته أن يصدق أن أحلامه كلها ستنهاوى ،
من أجل حادث تافه ، كهذا الذى تعرض له ..

هتف فى اعتراض واه :

— ربما بعد العلاج الطبيعى و

قاطعه الطيب فى إشفاق :

— كلاً يا ولدى .. السماء لا ترحم أحداً ، والطير
الضعيف تلتهمه الطيور القوية ..

— أنا نسر يا سيدى .

— الجميع نسر فى السماء أيها الرائد ، وإذا ما فقد
واحد منها جناحيه ، انقضت عليه النسر الأخرى ، تلتهمه
بلا شفقة أو رحمة .

— ولكنه يبقى أبداً ملك الطيور .

— ولكنه فى هذه الحالة يكتب باللقب على شاهد قبره
يا ولدى .

— إننى أفضل أن أكون نسراً فى قبرى ، من أن
أصبح عصفوراً وديعاً يا سيدى .

منع الطيب دموعه فى صعوبة ، وهو يقول فى حزن
وإشفاق :

— لا فائدة يا ولدى .. إنها القواعد ، ولا أحد يمكنه
مخالفتها .

مزقت هذه العبارة البقية الباقية من الأمل فى نفس
(عماد) ..

مزقت كيانه كله بلا رحمة ..

نهض من مقعده مناسكاً ، وواجه الطيب بوقفته
العسكرية الثابتة ، وقال :

— لم يعد هناك أمل إذن !!

تمزق قلب الطيب ، وهو يشيح بوجهه قائلاً :

— للأسف يا ولدى !!

أدعى (عماد) التحية العسكرية فى شحوب ، ثم استدار
يجر قلبيه جراً إلى خارج حجرة الطيب ، ولم يكده يغلق
بابها خلفه ، حتى أطلق الطيب العنان للدموعه ، التى
انهمرت على وجهه « وهو يغمغم فى حسرة :

— لقد فقدت السماء واحداً من أقوى نسورها .

بكى الطيب ، ولكن (عماد) لم يبك ..

كان يسير على قدميه بائساً ، يائساً .. ولكنه لم يبك ..

كانت الدنيا قد فقدت - بالنسبة إليه - كل رونقها

وجمالها .. ولكنه لم يبك ..

كانت السماء قد أسقطت جناحيه ، ولفظته ، ولكنه

ما زال يحمل في جنياته قلب نسر ..

والنسر لا تبكى ..

وقف لحظة أمام ممرات الإقلاع والهبوط في القاعدة

الجوية ، والحزن يعتصر قلبه اعتصاراً ..

كانت الطائرات كلها رابضة ، ومحركاتها صامتة ،

وكأنها تشاركه آلامه ..

عبر الممرات في خطوات ثابتة ، لا تشي بعذاب

صاحبها ، حتى وصل إلى طائرته ..

رابطة عجيبة تلك التي تربطه بهذه الآلة ..

رابطة صنعتها السماء ، ومزقتها الأرض ..

وقف يتأمل طائرته في حزن أنساه كل ما حوله ..

خيل إليه أنها تبكى لفراقه ، كما يبكى لفراقها ..

ترامى له ذلك النسر المرسوم على مقدمتها ، وكأنه
قد أخنى رأسه ألماً ..

مدّ يده في ألم برّبت على جسم الطائرة ، وكأنه يواسيها ،

ثم تحسّس النسر المرسوم ، ونغم في صوت « خيل إليه

أنه لم يعد ينتمى إليه :

- وداعاً يا رفاق السماء .

وداعاً .. وداعاً .. وداعاً ..

ظلت الكلمة تتردد في أعماقه كخنجر مسموم ، وهو

يقود سيارته الصغيرة في طريق العودة إلى منزله ..

ظلت تتردد في أعماقه « وهو يدخل إلى شقته ، ويتجه

مباشرة إلى حجراته ، دون أن يلتقي التحية على والديه ،

كما اعتاد ..

أسرع والداه إليه في جزع ، وسأله والده :

- ماذا حدث يا (عماد) ؟ .. إنك تبدو شاحباً

ومريضاً .

التفت إلى والديه في حزن وألم ..

كاد يبكى في هذه اللحظة « ويرتمي بين ذراعي

والدته ..

ولكنه تذكر أنه نسر ..

والنسر لا تذرف الدموع ..

ألقى العباء عن كاهله دفعة واحدة ، وقص على والديه ما حدث في اقتضاب ، ساد بعده صمت عميق في الحجرة ، إلى أن قطعه والده قائلاً :

— مهما كان ما حدث ، فالحياة لم تتوقف يا ولدى .

غمغم (عماد) :

— أعلم ذلك يا أبتاه .

سالت دموع الأم ، وهي تقول :

— ألم أنصحك بدخول كلية الطب ؟ .. لو أنك

فعلت ..

قاطعها الوالد في صرامة :

— لم يكن القدر ليتغير ، ربما كان قد أصبح جراحاً

ماهراً ، وفي هذه الحالة أيضاً كانت إصابة يده ستعوقه كثيراً .

ازداد انهمار الدموع من عيني الأم ، وحاولت أن

تخفف على ولدها ، فقالت في حنان :

***** ٣٢ *****

— من بلدى أين الخير يا ولدى ؟

شعر برغبة قوية في البكاء ، فقال في صوت مختنق :

— أريد أن أجلس وحلى .

تبادل الوالدان نظرات مشفقة حزينة ، ثم ربت الأب على كتف ابنه ، وقال :

— افعل ما بدا لك يا ولدى .

غادرا حجرتيه بقلوب مثقلة بالحزن ، وأغلقا بابها خلفهما ، وتركاه وحيداً ..

لم يكد باب حجرتيه يفتح ، حتى ترك دموعه تنهمر في صمت على وجنتيه ..

كانت دموع المرارة والقهر والألم ..

دموع العذاب ..

أصرع يجفف دموعه في خجل ، ووقف يتأمل نفسه في مرآة الحجرة ..

لأول مرة في حياته شعر بالضيق ، وهو يرتدى زى القوات الجوية الأزرق ..

أحس لأول مرة في حياته ، أنه لم يعد يرغب في ارتدائه ..

***** ٣٣ *****

(٣ - زهور - طيور بلا أجنحة - ٨)

٤ - الالم ..

شعر (عماد) بالضيق بملأ نفسه ، عندما دخل إلى منزل (فريال) ، ووجدتها تجلس مع صديقتها (نادية) .. كان يشعر بخرج مما سيخبر به (فريال) ، ولم يكن يحب أن يواجه (نادية) أيضاً ..

كان قد قرّر أن يقص عليها كل ما حدث ..
قفزت (فريال) من مقعدها ترحّب به ، وهتفت في لهجة يشوبها بعض الاستنكار :

- لماذا لم تأت في زيك الرسمي ؟

ضايقته عبارتها ، فغمغم :

- لاني أمل أن أرتدأها طيلة الوقت .

أشاح بوجهه عنها بصافح (نادية) في برود ، وأحنقه هذه المرأة ذلك الاحمرار ، الذي زحف إلى وجهها وهي تتمتم في صوت مرتجف :

- كيف حال معصمك ؟

أجابها في برود :

- لا بأس .

أسرع ينزع زيه العسكري ، ويرتدي منامته ، ثم التفت مقعداً ، وجلس في شرفة حجراته يتأمل السماء .. تلك السماء القاسية ، التي لفظته عند أول خطأ ..
مرأى السماء أعاد إليه أحزانه كلها ..
بدت له السماء في هذه اللحظة بعيدة ، عسيرة المنال ..
عاد بذاكرته إلى تلك الأيام ، التي كان يشق فيها صباب هذه السماء ، ويحبها بطأثرته في فخر وإعزاز -
انتقلت أفكاره فجأة إلى (فريال) -

شعر بحاجة الشديدة إليها في هذه اللحظة ..

نهض فجأة ، وارتدى حلة بنية أنيقة ، وصفف شعره في عناية ، وقد قرّر أن يذهب إليها ..

تحرك نحو باب حجراته في سرعة ، ثم لم يلبث أن توقف ، وعاد إلى شرفته ، ورفع رأسه إلى السماء لحظة ، ثم غمغم في ألم :

- حقاً .. إن السماء لا ترحم .

ثم أهملها فجأة ، مما أثار في نفسها الحزن ، وهو
يلتفت إلى (فريال) قائلاً :

— أريد أن أتحدث إليك وحدنا يا (فريال) .

قفزت (نادية) من مقعدها في حرج ، وقالت في
ارتباك :

— كنت سأصرف ثوباً .

قالت (فريال) في حلق :

— كلاً يا (نادية) .. لقد اتفقتنا على الذهاب إلى
النادي ، ويمكنك انتظارنا في حجرتي ، حتى أعلم ماذا
يريد (عماد) .

نعمت (نادية) ، وهي تغادر حجرة الانتظار في
ارتباك :

— حسناً يا (فريال) .. حسناً .

لم تكد (نادية) تغلق باب حجرة الانتظار خلفها ،
حتى هتفت (فريال) في غضب :

— ماذا أصابك ؟ .. لقد أخرجت صديقتي .

تجاهل (عماد) غضبها ، وهو يقول في حدة :

— لقد أصبحت خارج السرب يا (فريال) .

حدقت في وجهه بدهشة ، وسألته :

— وماذا يعني هذا ؟

أجابها في حزن واضح :

— يعني أنني لن أقود طائرة مرة أخرى .
صرخت في ذهول :

— يا إلهي !! هل تركت القوات الجوية ؟

هز رأسه نفيًا ، وقال في أسف :

— كلاً ، ولكنني سأظل على الأرض ، ربما في

أبراج المراقبة ، أو أي من الوظائف الإدارية الأخرى .

هتفت في جزع :

— وماذا سترتدي ؟

أدهشه سؤالها ، حتى أنه قال :

— سأرتدي نفس الزي الذي أرتديه دائماً ، كل ضباط

القوات الجوية يرتدون .

فوجئ بها تنهد في ارتياح ، ثم تطلق ضحكة عالية ،

وتقول في لامبالاة :

— لقد أزعجتني .. كنت أظن الأمر أخطر من ذلك .

أحسقه استهتارها ، فهتف في غضب :

— هل تعلمين ماذا يعنيه عدم طيراني مرة أخرى ؟

هزّت كنفها في لامبالاة ، وقالت :

— يعنى مزيداً من الأمان ولا شك ، فكم خشيت أن

تسقط بك الطائرة .

حاول أن يشرح لها ما يعنيه ذلك له ، ولكنه فوجئ بها

تندفع إلى خارج الحجرة ، وهي تطلق ضحكات طفولية

عابثة ، ثم لم تلبث أن عادت وهي تجذب (نادية) التي بدا

الخرج واضحاً في وجهها ، وفوجئ بها تقول له (نادية) :

— هل رأيت ما يقلقه إلى هذا الحد ؟ .. كل ما في

الأمر أنه لن يطير مرة أخرى — هل رأيت كم يبالغ في

تقدير الأمور ؟

شعب وجه (نادية) وهي تلمح الألم والغضب في

ملامح (عماد) ، الذي قال في حثي :

— عجباً .. ألا تفهمين ما يعنيه الحرمان من الطيران

لنسر مثلي ؟

حدقت (فريال) في وجهه لحظة ، ثم أطلقت ضحكة

طويلة ، وقالت :

— نسر مثلك ١٩ إننى أراك بشراً عادياً يا حبيبي ..

صحیح أنك أكثر البشر ومامة ، ولكنك لا تملك جناحين .

احتقن وجهه غضباً من أسلوبها المستهتر ..

لقد أتى ينشد السلوى إلى جوارها ، فإذا بها تسخر

من آلامه وأحزانه ..

أورثه استهتارها مزيداً من الألم ، فاضت به أعماقه ،

فظهر في ملامحه واضحاً ..

كان يصرخ في وجهها غاضباً ، لولا أن قالت

(نادية) في صوت بالغ الحنو :

— أهذا نهائي ، أم أنه لفترة محدودة ؟

أجابها وهو يتهاوى فوق أقرب المقاعد إليه ، وكان

ساقيه لم تعودا تتحملانه :

— بل إلى الأبد .

شعرت (نادية) في هذه اللحظة برغبة قوية في ضمه

إلى صدرها ..

كانت — على عكس (فريال) — تشعر بأحزانها وآلامها ..

كانت تعلم ما هو الطيران بالنسبة لرجل مثله ...

كانت تقدّر مدى ما يشعر به من عذاب ..

قالت في محاولة لتخفيف يأسه :

— لا ريب أن القوات الجوية لن تتخلى عن نصر مثلك.

لم يسمع عبارتها وهو ينهض ، قائلاً :

— سأنصرف الآن .. لدى بعض الأعمال ..

هتفت (فريال) في استنكار :

— ألن نذهب إلى النادي ؟

لوح بكفه في حلق ، وقال في صرامة :

— ليس اليوم .

لم يكذب ينصرف ، حتى هتفت (نادية) في غضب :

— لم يكن من اللائق أن تسخرى منه هكذا يا (فريال) .

نظرت (فريال) إلى صديقتها في دهشة ، وهتفت

في غضب :

— هل تريدن تعليمي الوسيلة المثلى لمعاملة خطيبي

يا (نادية) ؟

احتقن وجه (نادية) ، وهي تقول :

— إننى أتحدث عن قواعد اللياقة يا (فريال) .

صرخت (فريال) في غضب هادر :

— اللياقة ؟ .. هل نسيت من أنت ؟ .. هل نسيت

أنك مجرد موظفة صغيرة في الشركة التي يرأسها أبى ؟

هل نسيت أننى أنا صاحبة الفضل في تعيينك هناك ؟

عقدت (نادية) حاجبيها ، وهي تقول في غضب :

— كلاً يا (فريال) .. إننى لم أنس ، ولكن لعل علاقة

هذا بما أتحدث إليك به .

صاحت (فريال) في وقاحة :

— لن أسمع لتافهة مثلك أن تعلمنى أصول اللياقة .

احتقن وجه (نادية) لحظة ، ثم قالت في غضب :

— لقد تجاوزت حدودك يا (فريال) .. صحيح أن

والدك يرأس الشركة التي أعمل بها ، ولكنه لا يملكها ..

ثم إن والدى — رحمه الله — كان يفوقه منصباً منذ عشر

سنوات ، ولو لم يوافه الأجل ، لكان هو رئيس الشركة

اليوم .

تأملتها (فريال) بنظرات غاضبة ، ثم عقدت ساعديها

أمام صدرها ، وقالت في لهجة أقرب إلى السخرية :

— لماذا لا نكشف أوراقنا في صراحة ؟

بدت الدهشة على وجه (نادية) ، وهي تسألها :

— أية أوراق ؟

قالت (فريال) في شراسة :

— ينبغي أن تعتر في أن ثورتك من أجل (عماد) ،
لم تكن بسبب قواعد اللياقة .
ثم أردفت في حدة :
— اعتر في أنك تحببته .

هبط هذا التصريح كالقنبلة على رأس (نادية) ،
فشحب وجهها ، وتراجعت في ذعر ، وهي تلوح بكفها
صائحة :

— كلاً يا (فريال) .. أنت مخطئة .

هاجمتها (فريال) بلا رحمة :

— أغبيئة تظنيني أم حقاء ؟ .. إنني ألحظ نظراتك
الواهة إليه كلما تقابلتما ، ولا يفوتني ذلك الخجل الذي
يعنريك عندما يحدثك .

ازداد شحوب (نادية) ، وتخاذلت ساقاها ، فهوت
على أقرب مقعد إليها ، وهي تغتم :

— يا إلهي !!

واصلت (فريال) ثورتها قائلة :

— إنني أعلم منذ البداية أنك غارقة في حبه ، وأنت

***** ٤٢ *****

تحمديتنى على وسامته وأناقته ، ولكنني أنجاهل ذلك ، لأنني
أعلم أنه لن يترك ملكة جمال مثلي من أجل صعلوكة مثلك .
جاءت هذه العبارة طعنة أخرى في قلب (نادية) ..
شعرت في هذه اللحظة ، وكأن (فريال) جرّدتها من
ثيابها في طريق عام ..

شعرت أنها تكشف بلا رحمة مخاوفها وآلامها ..
كانت تعلم منذ البداية أن جمال (فريال) لا يتنافس ..
كانت تعلم أنها تبدو شاحبة إلى جوارها ..
إنها تحسدها فعلاً على (عماد) .. ولكنها لم تحاول
انتزاعه منها ..

لقد حاولت طوال الوقت أن تقتل حبه في قلبها ،
حتى لا تخون صداقتها مع (فريال) ، وهامي ذى (فريال)
تمزّق تلك الصداقة في قسوة لا مثيل لها ..

وجدت نفسها تهتف فجأة في حلق :

— أنت لا تستحقينه .

قالت (فريال) في مخزية :

— لقد اختارني دونك .

***** ٤٣ *****

أسبوع كامل مرة منذ أبعد (عماد) عن الطيران ..
أسبوع كامل وهو يعمل في برج المراقبة ..
خيل إليه أنه سينجح في امتصاص الصدمة ، ولكنه
لم يستطع ..
كان رؤية الطائرات وهي تقاع وتهبط تزيد من
آلامه ..

كان يشعر وكأنه نسر بلا جناحين ..
نسر انتزعت الأقدار جناحيه ، فأخذ يسير على
الأرض ، وهو يتطلع في حيرة إلى السماء ..
كان هدير الطائرات كالسيات تهوى على أذنيه ..
لم يعد يستطيع الاحتمال ..
اتخذ قراره في حزم ، وتوجه إلى حجرة قائد القاعدة ،
وأدّى التحية العسكرية أمامه ، وقال في لهجة حاول أن
يخفى ما بها من ألم :

— أريد التقدم باستقالتي يا سيدي .
حدثني القائد في وجهه بدهشة ، ثم أشار إليه أن

هتفت (نادية) في حلق :

— لقد أخطأ باختيار فتاة لا تبالى بأحزانه ومشاعره ..
احتقن وجه (فريال) غضباً ، وقالت فجأة في حدة :
— اخرجني من هذا المنزل .

شعب وجه (نادية) ، وهي تغغم :

— هل تطرديني يا (فريال) ؟

صرخت فريال في غضب :

— نعم .. لأنني أطردك من منزلي ومن حياتي كلها ..
اخرجني قبل أن أطلب من الخادمة أن تلتقي بك خارجاً .
نهضت (نادية) وهي تترنح من هول الإهانة ،
وحملت حقيبتها في ضعف ، ولكن عنادها لم يلبث أن
تفجر في أعماقها ، وشعرت بالألم من أسلوب (فريال)
وصلفها ، فاستدارت إليها قبل أن تغادر المنزل ، وقالت
في صرامة :

— نعم .. أنت لا تستحقينه .

وأغلقت الباب خلفها .. إلى الأبد .

يجلس ، وسأله في لهجة أبوية ، بعيدة عن الرسمية :

— لماذا تحاول الهروب من قلرك يا (عماد) ؟

— ربما أنا ذاهب إليه يا سيدى .

— لا أظن .. لا حياة للنسور بعيداً عن السماء .

— أنا نسر بلا جناحين يا سيدى .

— ولكنك ترعى نسوراً أخرى .

— لم أعد أحتمل .

— مصر في حاجة إلى خبراتك .

— لن تفيد منى مصر ، وأنا على هذه الصورة .

— هل أنت مصر ؟

— نعم يا سيدى .

تناول قائد القاعدة الورقة التي خط عليها (عماد)

استقالته ، وذيّلها بتوقيعه ، وهو يقول في صرامة :

— إذهب إذن .. لن نجبرك على البقاء .

استغرق الأمر أسبوعاً آخر ، حتى أنهى (عماد) إجراءات

استقالته من القوات الجوية ..

أسبوع كامل ، لم يحاول خلاله الالتقاء بـ (فريال)

مرة واحدة ..

إنه حتى لم يتذكرها في غمرة المشاعر التي عصفت به ..

لقد سعى جاهداً لإنهاء إجراءات استقالته ، ثم لم يكد

يتسلمها في يده حتى انتابه شعور جارف بالإحباط والضياع ..

رأى نفسه كنسر أصيب جناحاه ، فبترهما ، وحكم

على نفسه بالبقاء على الأرض ما بقى له من عمر ..

كاد يبكى وهو ينزع ثلثته الرسمية لآخر مرة ، ولكنه

قهر دموعه ..

أراد الاحتفاظ بقلب نسر ، وبعينى نسر لا تعرفان

الدموع ..

أول ما فعله بعد استقالته ، هو أن قفز في سيارته

الصغيرة ، وانطلق إلى منزل (فريال) ..

لم يكن الشوق إلى (فريال) هو ما جذب به إليها في هذه

اللحظة ، وإنما رغبته في الابتعاد عن منزله ..

استقبلته (فريال) في مرح ، وقالت وهي تقوده إلى

حجرة الانتظار :

— كيف حالك أيها النسر ؟

نكات عباراتها جرحه ، فغمغم في أسى :

— لم أعد نسرأ يا (فريال) .

توقفت فجأة ، وسألته في قلق :

— ماذا تعني ؟

أشاح بوجهه عنها ، وهو يقول :

— لقد استقلت من القوات الجوية .

صرخت (فريال) في استنكار :

— استقلت !؟

أوما برأسه إيجاباً ، وقال في صوت حزين :

— لم أعد أحتمل العمل خارج السرب و

قاطعته صارخة :

— هل تعني أنك لن ترتدي زيك العسكري مرة أخرى .

التفت إليها ، وهو يقول في دهشة :

— طبعاً .

أدهشته تلك النجابة التي ارتسمت على محياها ، فغمغم

وهو يحاول الفرار من الموقف :

— ما أن نذهب إلى النادي رأيك و ؟

قاطعته في سخط :

— لن أذهب إلى النادي .

زاد سخطها من توتره ، فقال في لهجة أقرب إلى التوسل :

— دعينا نخرج للنزهة إذن .

بدت شديدة البرود والضيق ، وهي تقول :

— لا بأس .. على أن تعود مبكراً .

ظلت (فريال) على برودها ، وهو يقود سيارته

الصغيرة بلا هدى ، وحينما حاول إخراجها من صمتها

بدعابة ، بذل مجهوداً كبيراً لإلقائها ، أبدت تأففها وهي

تقول :

— يا إلهي !! كيف نحتمل سيارتك الصغيرة هذه؟

عقد حاجبيه ، وهو يقول في ضيق :

— لقد تنزهنا كثيراً في سيارتي الصغيرة هذه

يا (فريال) ، وهذه أول مرة تبدين ضيقك منها .

لوحت بكفها ، وهي تقول في حنق :

— لم أعد أحتملها .. لقد كنت أخجل منها دوماً ،

عندما كنا نذهب بها إلى النادي ، ونضعها وسط رهط

السيارات الفاخرة هناك .

أحسنته أسلوبها المتكبر هذا الصباح ، فلاذ بالصمت ،
وأخذ يقود سيارته الصغيرة عبر طرقات لم تجتازها سيارته
من قبل ..

كان يشعر في هذه اللحظة بمزيد من الضياع ..
كان يبحث عن شخص واحد يمكنه أن يشعر بالآلامه .
وفجأة وقعت عيناه على هذا الشخص ، فهتف في
فرح :

— انظري يا (فريال) .. إنها (نادية) .
انحرف بسيارته نحو (نادية) ، قبل أن تقول (فريال)
في غضب :

— ما لنا بها ؟ كدعنا ننزه وحدنا .
لم يستمع إلى عبارتها الغاضبة ، وهو يتوقف أمام
(نادية) ، صائحاً في مرح :

— صباح الخير يا (نادية) .. انضمي إلينا في زهتنا .
انتفض قلب (نادية) فرحاً حينما لمحته ، وتورّدت
وجنتاها خجلاً وسعادة ..

كانت هذه هي المرة الأولى ، التي يولبها فيها اهتماماً
خاصاً ، فهتفت دون أن تنتبه إلى وجود (فريال) :

— صباح الخير يا (عماد) .. كم تسعدني رؤيتك .
انتبهت فجأة إلى وجود (فريال) ، فتحوّل خجلها
إلى ارتباك ، وهي تقول في تلثم :

— ربما لن يمكنني مشاركتكم زهتكم و
فوجئت به يغادر سيارته فجأة ، ويجذبها من معصمها
إلى السيارة ، قائلاً في مرح :

— لن أقبل اعتذارات .. أنا أصرُّ على أن ترافقينا .
كان هذا الموقف منه مفاجئاً للجميع ..
كانت مفاجأة لـ (نادية) ، أن تجد منه كل هذا
الاهتمام والإصرار على مرافقتها لها ..
وكانت مفاجأة لـ (فريال) ، أن يتخذ (عماد) هذا
الموقف — لأول مرة — من الفتاة التي طردتها من منزلها
منذ أسبوعين فقط ..

ومن العجيب أنها كانت مفاجأة لـ (عماد) أيضاً ..
كان شيء ما في أعماقه يدفعه للاهتمام الشديد بـ (نادية)
في هذا الوقت ..

شيء لم يدركه ، أو معناه ..

ولكنه كان يشعر بضرورة وجودها إلى جواره في
هذه اللحظة ..

ربما كان عقله الباطن ، الذي أدرك أنه و (نادية)
متشابهان ..

كان هو نسرأ فقد قدرته على الطيران ، وكانت هي
عصفورة فقدت كل رعايات الآخرين ، وصدقاتهم ..

كان كلاهما طيراً بلا أجنحة .. مع الفارق ..
تلاشى الارتباك والخرج تماماً من قلب (نادية) ،
مع أسلوب (عماد) المتهافت ..

تجاهلت الغضب الواضح في عيني (فريال) ، التي
لم تبادلها كلمة واحدة ، ولم تحاول حتى الرد على تحيتها ..
اكتفت بأنها تجلس في المقعد الخلفي لسيارة ، يقودها
الرجل الذي أحبه ..

لم تحاول هذه المرة إخفاء كل هذا الحب ، الذي
أطل من عينيها وهي تتأمله ..

لمح هو كل هذا الحب في مرآة السيارة ، ولكنه
لم يفهمه ، واكتفى بأن منحها ابتسامة تفيض بالسعادة ..

ابتسامة التأمّت لها كل جراح قلبها ..

لم تدر سبب ابتسامته ، ولكنها تركت قلبها يخفق لها في
سعادة ..

(فريال) أيضاً لحت هذه الابتسامة ، وأساءت
فهمها ، وامتلاً قلبها بالحقد والكراهية ، فقالت له (عماد)
في برود :

— إلى أين يا بطل الأبطال ؟

لم تخف عليه رنة السخريّة في صوتها ، فقال :

— كما تشائين يا (فريال) .

تجاهلت قوله ، وأشارت إلى فيلاً أنيقة في أحد أحياء

(مصر الجديدة) ، وقالت في لهجة شامّة :

— انظرا لجمال هذه الفيلاً .. ألا تعتقدان أن واحدة في

جمالي تستحق الزواج من رجل يمتلك مثلها ؟

نظر (عماد) إلى الفيلاً الأنيقة ، وقال في حماس مفاجيء :

— يوماً ما سأمتلك هذه الفيلاً .

انطلقت من بين شفقي (فريال) ضحكة ساخرة

عالية ، أثارت دهشة (نادية) ، وسمّط (عماد) ، ثم

قالت في سخرية :

— وكيف ستحصل عليها أيها النسر المهيض الجناح ؟ ..
 هل ستعطى دروساً خصوصية في الطيران ؟
 أوقف (عماد) سيارته فجأة ، على نحو دفع (فريال)
 و (نادية) إلى الأمام ، وصرخت (فريال) في غضب :
 — ماذا تفعل أيها الأحمق ؟
 استدار إليها (عماد) وقال في غضب :
 — كفى يا (فريال) .. إننى لم أعد أحتمل أسلوبك
 الساخر السخيف في التعامل معى .

قالت في حدة :

— إننى لم أطلب منك احتماله ، وليس فى نيتى تغييره .
 صباح فى غضب :
 — بل ستغيرينه أو
 قاطعته فى سخرية :
 — أو ماذا أيها النسر ؟
 هتف فى غضب هادر :
 — أو ينتهى ما بيننا تماماً .

وفى بساطة عجيبة ، اقترعت (فريال) دبلته من

إصبعها ، وقذفت بها إليه ، على نحو يخلو من الذوق ،
 وقالت فى تكبر :

— حسناً .. يمكنك اعتبار ما بيننا قد انتهى .

جلس يحدّق فيها بذهول ، على حين قفزت هى
 خارج السيارة ، وأشارت إلى واحدة من سيارات الأجرة
 التى لم تلبث أن انطلقت بها بعيداً .



تسمّر (عماد) في مقعده ذاهلاً ، وهو يراقب سيارة
الأجرة ، التي تبتعد بـ (فريال) ..
كان هذا أقوى مما يمكنه احتماله ..

لقد فقد حلمه وخطيبته في يوم واحد ..
ولكن التصرف الذي أقدمت عليه (فريال) ، بكل
هذا الصلف والغرور ، أضاع أمامه أشياء أخرى ، لم ينتبه
إليها من قبل ..

تذكر كيف كانت تصرّ دائماً على أن يرافقها إلى
النادي في زيه الرسمي ..

تذكر كيف كانت تثور كلما حاول إبدال زيه ..
عاد إلى ذاكرته موقفها ، يوم أخبرها أنه لم يعد قادراً
على الطيران ..

لقد سأله - يومئذ - في جزع ، عما إذا كان سيواصل
ارتداء زيه ..

تذكر كيف تنهدت في ارتياح ، حينما جاءت إجابته
بالإيجاب ..

اتسعت عيناه ، وهو يكشف لأول مرة أن (فريال)
لم تحبه يوماً ..

لقد أحببت زيه لا هو ..
أحببت ريش النسر ، لا قوته ، وشخصيته ، وكبريائه ..
أحببت مظهره لا جوهره ..

لم يمكنه في البداية أن يستوعب وجود مثل هذه
الشخصية التافهة ، ولكن ذاكرته لم تلبث أن أكدت له
أنها كذلك ..

شعر بالغضب يعربد في أعماقه ..
استولى عليه الشعور بالغضب ، حتى أنه نسي وجود
(نادية) في المقعد الخلفي ..

نسي وجودها ، حتى أنه دهش حينما غمغت هي
في أسف :

- يؤسفني أن هذا حدث في وجودي .

التفت إليها في دهشة ، وكأنه ينتبه إلى وجودها للمرة
الأولى ، ثم قال في صلابة :

- بل يسعدني أنه حدث في وجود شاهد ، يؤكد
صلفها ، وغرورها .

ثم أشار إليها قائلاً :

— انتقلي إلى المقعد الأمامي يا (نادية) ، سأوصلك إلى حيث تريدن .

شعرت (نادية) بنشوة عجيبة ، وهي تنتقل إلى جواره ..

خيل إليها أنها قد احتلت مقعد (فريال) ، ومكانتها في قلبه ، بهذا التصرف البسيط ..

وجدت نفسها تربّت على كتفه في حنان ، وتقول في صوت مفعم بالحب :

— هل أملك فراقها ؟

لم ينتبه إلى كل هذا الحب والحنان ، وهو يقول في حزم :
— إنها لم تحبني يوماً يا (نادية) ، وفراقنا اليوم أفضل من فشل زواجنا فيما بعد .

سألت في حنان :

— ولكن لماذا فعلت ذلك ؟

أجابها وهو يقود سيارته في هدوء :

— لقد استقلت من القوّات الجوية ، ولن ارتدى بعد

الآن ذلك الزي الذي بهرما دائماً .

هضت (نادية) في إشفاق :

— استقلت ١٩

أجابها دون أن يلغث إليها :

— نعم يا (نادية) .. استقلت .. ولكنني أعدك أن

أجعل (فريال) تندم يوماً على خلع دبلي من إصبعها .

نطق هذا الوعد في انفعال وصرامة ، أورتاها حزناً شديداً ..

كان أسلوبه يؤكد أنه لم يُلقَ رحباً (فريال) من قلبه بعد ..

تحطم في لحظة ذلك الأمل ، الذي راود (نادية) في احتلال مكانة (فريال) في قلبه ..

لاذت بالصمت وهي تجتر آلامها ، حتى أزعجها أمام منزلها ، فقالت في حنان ، وهي تصافحه بيد مرتجفة :

— أدعو الله أن يوفقك فيما ترغب يا (عماد) .

ربّت على كفها ، وهو يغمغم :

— شكراً يا (نادية) .

انطلق بسيارته دون أن يلمح تلك الدموع ، التي

انسالت على وجنتيها ..

غضبه ومخطئه على (فريال) صنعا أمام عينيه غشاوة ،
حجبت عنهما حبّ (نادية) ، وحنانها ..

ردّد الوعد الذى قطعه على نفسه عشرات المرّات فى
أعماقه . وهو ينطلق بسيارته عائداً إلى منزله ..

ظل هذا الوعد يتردّد فى عقله وهو يصعد فى درجات
السلم ، ويفتح باب المنزل ..

انطلقت من داخل المنزل صيحة فرح :

— (عماد) ؟ كم أوحشتنى أيها النسر .

تهللت أسارير (عماد) ، حينما رأى أمامه شقيقه
الأكبر (ناجى) ، فاندفع إليه فى حبّ ، وتعانقا فى
سعادة ، ثم هتف (عماد) :

— متى عدت أيها المهاجر ؟ .. ألم يكن من المفروض
أن تخبرنى بموعد عودتك ؟

ربّت (ناجى) على كتف شقيقه فى حنان ، وقال
فى مرح :

— أردت أن أفاжئك أيها النسر .. كيف حال القوات
الجوية معك ؟

أطرق (عماد) برأسه فى حزن ، ونغم :

— لقد قبلت استقالتي اليوم يا (ناجى) .

هتف (ناجى) فى دهشة :

— كيف ؟ ..

قص عليه (عماد) الأمر كله ، منذ إصابة معصمه ،

وحتى فسخ خطبة (فريال) ، واستمع إليه (ناجى)

ووالداه فى اهتمام ، ثم هتفت الأم فى غضب :

— كيف تجرؤ هذه السخيفة على ذلك ؟

على حين سأل الوالد ولده فى قلق :

— ولكن لماذا لم تخبرنا عن رغبتك فى الاستقالة

يا (عماد) ؟ .

نغم (عماد) فى حزن :

— فضلت أن أخبر الجميع بعد انتهاء الأمر .

هتف (ناجى) فجأة :

— لعله القدر يا (عماد) .. فهذا يجعل رحلتى إلى

القاهرة أكثر نجاحاً .

سأله (عماد) فى دهشة :

— ماذا تعنى بقولك هذا ؟

اعتدل (ناجى) ، وقال فى جدئية :

— أنت تعلم أننى هاجرت إلى كندا منذ عشر سنوات
بجئاً عن الثراء ، ولقد ساعدنى الله (سبحانه وتعالى)
كثيراً ، وتحقق لى ما كنت أسعى إليه ، وأنا الآن
صاحب واحدة من كبريات الشركات السياحية هناك .

نعم (عماد) :

— أعلم ذلك .

ابتسم (ناجى) ، وهو يقول :

— ما لا تعلمه ، هو أننى عدت إلى القاهرة هذه المرة
خصيصاً ، فى محاولة لإنشاء فرع لشركتى السياحية هنا .

تهللت أسارير (عماد) ، وهو يهتف :

— حسناً تفعل يا أخى ، فوطنك أحق باستثماراته .

أوماً (ناجى) برأسه موافقاً ، وقال :

— أكثر ما كان يشغلنى هو البحث عن شخص جدير

بالثقة ، لإدارة فرع الشركة هنا ، وأعتقد أنه بعد

استقالتك ، لم تعد هناك مشكلة فى هذا الأمر .

سأله (عماد) فى لطفة :

— ماذا تعنى ؟

ابتسم (ناجى) ، وهو يقول :

— إننى أعرض عليك — تبعاً لظروفك الحاضرة —

رئاسة الشركة ، مقابل خمسين فى المائة من أرباحها ، وللعلم ،

لا يوجد أى مجال للمعاملة فى هذا العرض ، فهو نفسه

ما كنت سأقدم به لمن أعتز عليه للوظيفة ذاتها ، ولكن

نظراً لأنك شقيق الوحيد ، فستكون شريكاً بالنصف فى

الشركة .. ما رأيك ؟

كانت أول مفاجأة مفرحة فى ذلك النهار ، فلم يتمالك

(عماد) نفسه ، أن صاح فى سعادة :

— هل تسألنى رأى؟ .. إن هذا أكثر مما كنت أطمح

فيه يا (ناجى) .

هتف (ناجى) فى حماس :

— بل هو أقل مما تستحقه حقاً يا (عماد) .

نصافح الشقيقان فى حرارة ، وفى داخل (عماد)

تردد الوعد مرة ثانية :

— سننمين يا (فريال) .. أقسم لك .

اعتدل (ناجى) ، وقال فى جدئية :

— أنت تعلم أننى هاجرت إلى كندا منذ عشر سنوات
بجئاً عن الثراء ، ولقد ساعدنى الله (سبحانه وتعالى)
كثيراً ، وتحقق لى ما كنت أسعى إليه ، وأنا الآن
صاحب واحدة من كبريات الشركات السياحية هناك .

نعم (عماد) :

— أعلم ذلك .

ابتسم (ناجى) ، وهو يقول :

— ما لا تعلمه ، هو أننى عدت إلى القاهرة هذه المرة
خصيصاً ، فى محاولة لإنشاء فرع لشركتى السياحية هنا .

تهللت أسارير (عماد) ، وهو يهتف :

— حسناً تفعل يا أخى ، فوطنك أحق باستثماراته .

أوماً (ناجى) برأسه موافقاً ، وقال :

— أكثر ما كان يشغلنى هو البحث عن شخص جدير

بالثقة ، لإدارة فرع الشركة هنا ، وأعتقد أنه بعد

استقالتك ، لم تعد هناك مشكلة فى هذا الأمر .

سأله (عماد) فى لطفة :

عادت (فريال) إلى منزلها ، وهي تمتلئ بالغضب والثورة ..

لم يكن غضبها بسبب انفصالها عن (عماد) ، فهي التي سعت إليه ..

ولم تكن ثورتها من أجل فراقه ، فهي التي فارقت .. كانت ثورتها ضد (نادية) ، وغضبها من أجلها .. لقد أحزنها أن يتوقف (عماد) خصيصاً ، ليدعو الفتاة التي طردتها هي ، إلى الزهرة معهما ..

نسج عقلها المتكبر المريض قصة وهمية « عن علاقة عاطفية تربط (عماد) و (نادية) من خلف ظهرها ، وضخم خيالها القصة ، وحجب عنها كونها صاحبة قرار الانفصال ، فباتت تظن (عماد) قد تخلى عنها من أجل (نادية) ..

ازدادت كراهيتها لـ (نادية) ، وبدأت تصب عليها جام غضبها ..

***** ٦٤ *****

اندفعت إلى حجرة والدها ، فاقتحمتها في ثورة ، وصرخت في غضب طفولي :

- أبي .. لقد فسم (عماد) خطبتنا .

هتف والدها في دهشة :

- يا إلهي !! لماذا ؟

وصاحت والدتها :

- من يظن نفسه ؟ إنك تستحقين من هو أفضل منه .

قالت (فريال) في صوت أقرب إلى البكاء :

- لقد تركني من أجل هذه الحقيبة (نادية) .

عقد الوالد حاجبيه « وهو يسألها في دهشة :

- (نادية) من ؟

صاحت (فريال) :

- (نادية عبد السلام) .. تلك الحقيبة التي نستضيفها

في منزلنا دائماً ، والتي سميت أنا لتوظيفها في شركتك يا أبتاه ، لقد أدارت رأسه ، واختطفته مني .

هتفت الوالدة في غضب :

- يا للخبيثة الخائنة !!

وازداد انعقاد حاجبي الوالد ، وهو يغمغم في غضب :
— تلك الماكرة .. كنت أظنها دائماً طيبة القلب .

صاحت (فريال) ، ودموعها تسيل على وجهها :

— إنها خائنة كريهة .. كم أكرهها !! كم أكرهها !!

ربت الوالد على كتف ابنته ، وقال في صرامة :

— اطمئني يا (فريال) .. سأجعلها تدفع الثمن غالياً .

لم ينطق الوالد هذه الكلمات عبثاً .. بل كان يعنى كل

حرف منها ..

كان يرغب حقاً في الانتقام من الفتاة ، التي ظن أنها

أساءت إلى ابنته الوحيدة ..

ولم تكن رغبته في الانتقام قد خفت بعد ، عندما

استدعى (نادية) إلى مكتبه في الصباح التالي ..

ذهبت المسكينة إليه « دون أن تدرى أنها هدف للانتقام

أنحرق ..

وقفت أمامه باسمه كعادتها ، وسأله :

— ماذا تريد يا عمّاه ؟

فوجئت به يقول في صرامة :

— أهكذا تخاطبين رئيس مجلس إدارة الشركة ، التي

تعملين فيها ؟

ارتبكت لقوله ، فقد اعتادت طيلة عمرها أن تخاطبه

بهذا اللقب ، ولكنها أدركت فوراً ، أن (فريال)

قد أساءت إليها بشكل أو بآخر « فعادت تقول في لهجة

رسمية :

— ماذا تريد يا سيدي ؟

تشاغل عنها بترتيب بعض الأوراق فوق مكتبه «

ولم يدعها للجلوس كعادته ، إمعاناً في إذلالها ، ثم قال

دون أن يرفع رأسه إليها :

— لقد وقعت صباح اليوم أمراً بنقلك إلى فرع الشركة

في (أسوان) .

هتفت في ذعر :

— (أسوان) ؟ .. ولكن لماذا ؟

رفع رأسه إليها ، وعيناه تتقدان غضباً ، وقال في

قسوة :

— حاجة العمل تقضى ذلك « وليس من حقك

الاعتراض على قرارات الشركة .

انتابها غضب شديد ، فقالت في حدة :

— ولكنك تعلم أن والدتي مريضة ، وليس لها موى ،
ولن يمكنها الانتقال معي إلى (أسوان) ، كما لا يمكنني
تركها وحدها هنا .

قال في قسوة :

— إما أن تنفذي النقل ، أو تقدمي استقالتك .

لم تدر لم تذكرت (عماد) في هذه اللحظة ..

ربما لأنها كانت تحتاج إليه ، ليواجه هذا الرجل
القاسي بدلاً منها ..

أو ربما لأنها شعرت في هذه اللحظة أنها مثله .. طير
بلا أجنحة ..

شعرت أنها عصفور صغير ، لم يقوَ جناحاه على
الطيران بعد ، ينقض عليه صقر قوى ، ويلقى به من عشه ..
قالت في ضراعة :

— لقد كنت صديقاً لوالدي (رحمه الله) .. وأنت تعلم
أنه لم يترك لنا سوى معاشه الضئيل ، وليس بإمكانى
قاطعها في قسوة :

— النقل أو الاستقالة .

اجتاح الغضب نفسها ، فاعتدلت ، واختفت الضراعة
من صوتها ، وهي تقول :

— إنني أرفض النقل ، ولن أقدم باستقالتي .

اتسعت عينا الرجل دهشة ، وصاح في غضب :

— هل تتحدّينني أيتها الحفيرة ؟

وجدت نفسها تصرخ في حنق :

— لن أسمع لك بإهانتى ، وسأقدم بشكوى ضد هذا
القرار المتعسف .

غلي الدم في عروقه ، فصرخ وهو يقفز من مقعده
ثائراً :

— اذهبي إلى مكتبك ، وسيخضم من راتبك عشرة
أيام .

قالت في تحد :

— فليكن ، ولكنني لن أقدم استقالتي .

قالت عبارتها ، وأمرعت إلى مكتبها ، ولكنها لم تكذب
تجلس عليه ، حتى تفجّرت من عينيها الدموع ..

كانت تعلم أنها لن تصمد طويلاً ، أمام قوة والد
(فريال) وسطوته ..

كانت تخشى ما يمكن أن يصيب والدتها . إذا
ما استقالت من عملها ، وانقطع ذلك المورد ، الذي يضيع
كله في شراء الأدوية اللازمة لها ..

إنها تعلم أن معاش والدها لن يكتفى لعلاج والدتها
وحده ، وهذا ما أثار في قلبها الرعب ..

شعرت في تلك اللحظة بحاجتها الشديدة إلى (عماد) ..
إلى حنانه ، وحبه وقوته ..

شعرت أنها بدوته طيراً بلا أجنحة ..
أسرعت تجفف دموعها ، عندما تنأى إلى مسامعها
صوت طرقات على باب مكتبها ، وقالت في صوت
متحرج :

— ادخل .

كان الطارق هو موظف الحسابات بالشركة ، والذي
لم يستطع إخفاء نظرات الشفقة في عينيه ، وهو يقول :

— ماذا حدث بينك وبين رئيس مجلس الإدارة ؟

أجابته في خشونة :

— ليس هذا من شأنك .

خيل إليها أنه ابتسم في سخرية ، وهو يقول :

— من قال هذا ؟ .. إننى صاحب الشأن الأول في
هذا الخلاف .

رفعت إليه عينيها المحمرتين في حدة ، وسأله :

— ماذا تعنى ؟

ترددت الشماتة واضحة وسط السخرية في صوته ،
وهو يقول :

— لقد أصدر رئيس مجلس الإدارة قراراً ، بمنع
صرف مرتبك ، إلى أن تنفذى قرار النقل إلى (أسوان) .

شحب وجهها ، وغص خلقها ، فلم تستطع النطق «
على حين استطرد موظف الحسابات في شماتة :

— ربما كانت (أسوان) شديدة الحرارة في مثل هذا
الوقت من السنة « ولكنها منصبج جنة في الشتاء .

انتابها كراهية عميقة له ..

كانت تعلم أن موظفي الشركة يشاركونه شماتته ،
فهم يعرفون منذ البداية تلك الروابط الطيبة « التي كانت

تربطها بوالد (فريال) ، ولا ريب أنهم سعلوا كثيراً
بانقصاص هذه الروابط ..

تغلبت كراهيتها لأسلوبهم على خوفها وضعفها ،
فصرخت في وجه الرجل :

— اخرج من مكنتي قبل أن أطرده .

فوجئت به يبتسم في مخزية ، ويقول :

— مكنتك ؟! .. يبدو أنك لم تفهمي الأمر بعد .. إن

قرارات رئيس مجلس الإدارة لها قوة القانون ، ولا يمكنك
تحدّيها ، ثم إن هذا المكتب لم يعد مكنتك .

امتقع وجهها ، وهي تسأله في ذهول :

— ماذا يعنى هذا ؟

أجابها في شماتة :

— لقد تضمن قرار نقلك إلى (أسوان) ، ترقية

إلى منصب مدير حسابات في فرع الشركة هناك ، وترقيتي
أنا إلى منصب نائب مدير الحسابات في الشركة هنا ،
وهو المنصب نفسه ، الذي تشغلينه الآن ، وهكذا يصبح
هذا المكتب مكنتي أنا .. ولما كان من المستحيل أن نشغل

نفس المنصب معاً ، فقد قرّر السيد رئيس مجلس الإدارة
إيقافك عن العمل ، ومنع إمضاءك في دفاتر الحضور
والانصراف ، بالإضافة إلى إيقاف صرف مرتبك ،
وإخلاء مكتبك فوراً ، وتسليم عهدتك كلها لي ، إلى أن
يتم تنفيذ قرار النقل .

شعرت (نادية) بإحكام الحصار حولها ، وبأنها لن
تنجح حقاً في مواجهة كل هذا القدر ، من السطوة والقوة
وحدتها ..

كان والد (فريال) قد أحكم تدبير انتقامه ..

إن الترقية المصاحبة لنقلها ، ستجعل اعتراضها على
النقل ضعيفاً ، كما أن ترقية هذا الموظف إلى منصبها بمنعها
من البقاء في الشركة ..

لقد أحكم الرجل إذلالها ، ولم يعد أمامها سوى اتخاذ
قرارها ..

جذبت إحدى الأوراق الموضوعة فوق مكتبها ،
وأخذت تخط عليها بضع كلمات ، على حين سألها موظف
الحسابات :

— ماذا قرّرت يا آنسة (نادية) ؟

أَلْقَتْ اسْتِقَالَتَهَا فِي وَجْهِهِ ، وَهِيَ تَصْرُخُ فِي غَضَبٍ :

سأترك لكم كل شيء .. سأغادر هذا الوسط الموبوء .

ثم أردفت في صرامة :

— وحيثما تشاهد (فريال) ابنة رئيس مجلس إدارتك،

أخبرها أنني أهنئها ، فقد نجح انتقامها .

[illegible]

● **المشكلة** ●

حمل العام التالي لاستقالة (نادية) ، كل الألم والحيرة
والعذاب إليها ..

فقدت باستقلالها ثلاثة أرباع مورد رزقها ووالدتها..

كان عليها منذ استقالت ، أن تبحث عن عمل جديد ،
يكفل لها بعض الدخل ، حتى يمكنها الإنفاق على مرفق
والدتها المسكينة ..

ذاقت المرارة وهي تنتقل من عمل إلى عمل ، وكلها أعمال تافهة ، لا تليق بمؤهلاتها الجامعي ، ولا بخبراتها .. عملت بائعة في متجر صغير ، ثم لم يلبث صاحبها أن طردها شرّ طردة . عندما رفضت يوماً أن تتحايل على أحد زبائن المتجر ، وتبيعه ثوباً معيباً ..

وعملت محصلة في شغل صغير للعصائر ، ثم تركته ؛
لأن صاحبه كان يغازلها دائماً في وقاحة ..

احتملت كل هذا العذاب والمهانات من أجل والدتها
المریضة ، على الرغم من أن راتبها من تلك الأعمال الصغيرة

• 卷之五 •

كان يكنى إلى حد ما لعلاج والدتها ، حتى أنها اضطرت
للإقلال من وجباتها ، ورتق أثوابها القديمة توفيراً للنفقات ..
ولكن أكثر المواقف التي آلمتها ، وأشعرتها بالمرارة ،
كان ذلك اليوم الذي التقت فيه بـ (فريال) ..

كانت ترتدى - يومها - ثوباً قديماً ، عيث به البلى ،
فصار رثاً متهاكاً ..

وكانت تقف في محل لبيع أدوات الزينة ، وهي تخفى
ثوبها البالي بمعطف رث يحمل اسم المثل « عندما وجدت
نفسها وجهاً لوجه أمام (فريال) ..

كانت (فريال) قد ازدادت بهاءً وجمالاً ، وتورّدت
وجنتاها بمزيد من السماء ، بفضل تلك الحياة المترفة الناعمة
التي تحياها ..

وكانت (نادية) قد ازدادت نحولاً وشحوباً ، بسبب
حياة العذاب والهوان التي تحياها ..

يومها دهشت كلتاها للوهلة الأولى ، ثم أسرع
(نادية) تلملم أطراف معطفها الرث ، لتخفى أكبر قدر
مممكن من ثوبها القديم المتهاك .. أما (فريال) فقد ارتسمت

على شفتيها ابتسامة شرمة شامخة ، وتقدمت من (نادية)
بخطوات مختالة كالطاوس ، وأشارت إلى بعض أدوات
الزينة « وهي تقول في عجرفة :

- أعطيني طلاء شفاء من اللون الوردى الداكن أيتها
العاملة .

ضغطت حروف كلمة (العاملة) ، وكأنها تؤكد
الفارق الواضح بينهما ، إلا أن (نادية) أجبرت نفسها
على الابتسام ، وهي تقول :

- كيف حالك يا (فريال) ؟

حدجتها (فريال) بنظرة ساخطة ، وصاحت في
صوت مرتفع ، وهي تتعمّد أن يسميها صاحب المحل :

- ماذا تقولين ؟ .. ألم تتعلمي كيف تخاطبين زبائن
المحل أيتها العاملة السخيفة ؟

احتقن وجه (نادية) ، وأرادت أن تصيح في وجه
(فريال) ، لولا أن هرع إليها صاحب المحل ، وسأل
(فريال) في ارتباك :

- ماذا حدث يا مدموازيل (فريال) ؟

أشارت (فريال) إلى (نادية) في غطرسة ، وقالت
في تأفف مصطنع :

— هذه العاملة السخيفة ، طلبت منها طلاء شفاه ،
فطلبت مني أن أبحث عنه بنفسى .

اتسعت عينا (نادية) دهشة لهذا الاتهام الجائر ،
وأرادت أن تعترض ، ولكن صاحب المحل أخذ يعتذر
لـ (فريال) ، قائلاً :

— معذرة يا آنسى .. إنها ما زالت جديدة في العمل .

ثم التفت إلى (نادية) ، وقال في غضب :

— أنت هنا لخدمة الزبائن .. هل تفهمين ؟

أحنت (نادية) رأسها في مذلة ، وغمغمت :

— نعم .. أفهم .

انصرف صاحب المحل ، بعد أن كرر اعتذاره

لـ (فريال) ، التي تألقت عيناها في شماعة ، وهي تقول :

— هل نبيذك (عماد بك) ؟

تجاهلت (نادية) ذلك القول الشامت ، وتناولت

طلاء شفاه وردياً داكناً ، وضعت أمام (فريال) ،

وقالت في لهجة رسمية :

— هذا هو الطلاء ، الذى تطلبينه يا سيدتى .

مالت (فريال) نحوها ، وقالت في ظفر :

— هل رأيت عاقبة من تجرؤ على تحدى (فريال) ؟

تجاهلت (نادية) هذا القول أيضاً ، وحبست دموع

قهرها ، وهي تقول :

— هل من خدمة أخرى ؟

ثارت نائرة (فريال) لهذا التجاهل ، الذى تبديه

(نادية) نحوها ، فصرخت في غضب :

— أيتها الحفيرة .

نظرت (نادية) في ذعر إلى صاحب المحل ، الذى

عقد حاجبيه غضباً ، وغمغمت في توسل :

— أرجوك يا (فريال) .. إننى أحتاج لنفود هذه

الوظيفة .

زادت لهجتها الضارعة من شماعة (فريال) ، ومن

رغبتها في إينائها : فعادت تصرخ ، وهي تضرب طلاء

الشفاه براحتها ، وتلقى به في وسط المحل :

— إننى لن أحتمل إهانتك مرة أخرى ، أيتها العاملة

الحفيرة :

أسرع صاحب المحل إليها مرة ثانية ، وصرخ في وجه
(نادية) غاضباً :

— ماذا حدث هذه المرة ؟

صاحت (فريال) :

— هذه العاملة سيئة الخلق ، لقد طلبت طلاء ذا لون
قرمزي ، فإذا هي تعطيني طلاء وردياً داكناً ، وتقول
في صفاقة إن هذا كل ما لديها .

صاح صاحب المحل في وجه (نادية) :

— بالك من بخيلة ! ألا تعرفين من هذه .. إن والدتها

قاطعتها (نادية) ، وهي تقول في غضب :

— رئيس مجلس إدارة شركة كبيرة .. أنا أعلم هذا ،
فقد كنا زميلتين فيما مضى .

صرخت (فريال) :

— زميلتان ؟! هل تجربتين على الكذب أيضاً ؟

ربت صاحب المحل على كتف (فريال) ، وقال في

توسل :

— اهتني يا آنستي .. اهتني .

ثم التفت إلى (نادية) ، وصاح في غضب :
— أنت مطرودة .

فرّت الدماء من وجه (نادية) ، ووقفت لحظة متحدق
في عيني (فريال) الساخرتين ، الشامتتين ، ثم نزعت
معطفها الرث في غضب ، وألقته في وجه صاحب المحل ،
وهي تقول :

— فلتذهب أنت ومحلّك إلى الجحيم ..

لم تكذ تغادر المحل ، حتى انهمرت دموعها في غزارة ..
ها هي ذى تفقد وظيفة ثالثة ، وتفقد مورد رزق آخر ..

كم كرهت (فريال) في هذا اليوم !!

كم شعرت نحوها بالاحتقار والبغض !!

ولم يكتف القدر بهذا القدر من العذاب والضيق لها ..
عادت في تلك الليلة إلى منزلها ، لتجد والدتها في النزاع

الآخر ..

أصابها الجنون وهي تحاول إسعافها ، ولكن الموت
كان أقرب منها إليها ..

رحلت والدتها ، وتركها وحدها لرحلة العذاب ..

وانقطع بوقاة والدتها معاش والدها أيضاً ، إلا من
قدر ضئيل تحصل هي عليه .. طبقاً للقانون - حتى تحصل
على عمل ثابت ، أو تزوج ..

وحتى هذا القدر الضئيل لم تحصل عليه بسهولة ..
عانت الأمرين فى التنقل بين دواوين الحكومة ،
 وإدارة المعاشات ، حتى حصلت أخيراً على جنيتها قليلة ،
فى بأجر المنزل ، وقليل من الزاد ..

وازداد شحوبها ونحوها .. حتى برزت عظامها ،
وبدا وكأنها قد تقدمت فى العمر أعواماً وأعواماً ..
حتى انقضى عام كامل منذ قدمت استقالتها ..

فى نفس اليوم الذى يوافق مرور عام كامل على ذلك ،
كانت تقطع شوارع القاهرة فى ثوب رث ، وحذاء قديم
بال ، بحثاً عن وظيفة تسد رمقها ..

كانت تترنح فى مشيتها ، عندما توقفت إلى جوارها
سيارة فاخرة ضخمة ، من ذلك النوع الذى يوحى براء
صاحبه ، وسمعت صوتاً يهتف فى فرح يختلط بالدهشة :

— (نادية) ؟ !

تسمّرت قدمائها ، ولم تصدّق أذناها للوهلة الأولى ،
ثم استدارت فى بطاء ، وتطلعت إلى قائد السيارة الفاخرة ..
لم تكذب فعل ، حتى اختلج قلبها بين ضلوعها ، وارتعدت
شفتاها ، وهى تهتف فى سعادة :

— (عماد) !! .. غير معقول .

ثم هوت فاقدة الوعى ، وكأن جسدها الهزيل لم يعد
يحتمل مزيداً من المفاجآت .



« أعتقد أنها تعاني ضعفاً في مكونات الدم ، فهي شديدة الهزال ، ويبدو أنها تمرُّ بأزمة نفسية ، فهي ترتدى ملابس سوداء » .

تناهت هذه الكلمات إلى مسامع (نادية) ، وهي تستعيد وعيها شيئاً فشيئاً ..

فتحت عينيها في ببطء ، لتسدر ك أنها ترقد داخل حجرة الطوارئ ، بأحد المستشفيات الاستثنائية ، وعلى بعد خطوات منها يقف (عماد) ، يتحدث في اهتمام إلى الطبيب الشاب ، الذي نطق هذه الكلمات ..

خفق قلبها في سعادة ، وهي تتأمله ، ثم تهتت في ارتياح ، فالتفت إليها ، وأسرع نحوها ، ثم ضغط براحته على كفها الهزيلة في حنان ، فهمست وهي ترتجف سعادة :

— ماذا حدث ؟ .. ما الذي أتى بي إلى هنا ؟

أجابها (عماد) في صوت بالغ الخنو :

— لست أدري ماذا أصابك ، ولكن الطبيب يقول إنك تعانيين ضعفاً شديداً ، وآلاماً نفسية كبيرة .

عادت تكرر سؤالها ، وقد أسعدها اهتمامه البالغ بها :
— وما الذي أتى بي إلى هنا ؟
جلس على طرف فراشها ، وقال وهو يحتفظ بكفها بين راحتيه :

— كنت قد انتهيت من بعض الأعمال ، واتخذت طريقى إلى القبلاً ، عندما رأيتك .

ابتسم لحظة ، ثم عاد يقول :

— إننى لم أعرفك للوهلة الأولى في الواقع ، فقد ازددت تحولاً وشحوباً ، كما أن

بتر عبارته فجأة ، ونصاعدت دماء الخجل إلى وجهه « ولكنها فهمت ما يعنيه ..

كان يقصد أن ثوبها رث على نحو لم يعهده فيها من قبل .. أورتها عبارته شعوراً مضاعفاً بالخجل ، ولكن وجنتها لم تتورداً ..

أو ربما فعلتا ، ولكن شحوب وجهها أخفى ذلك ، وحاولت أن تدارى ثوبها الرث ، إلا أن الدفء الذي تشعر به وهو يحتضن كفها بين راحتيه ، جعلها ترقد مستسلمة ساكنة ، في حين أسرع هو يستطرد :

— أسعدتني رؤيتك بعد عام كامل ، فتوقفت بسيارتني
إلى جوارك ، ولم أكّد أناديك حتى هتفت باسمي ،
وفقدت الوعي ..

ثم ضحك ، وواصل قائلاً :

— لقد أربكتني كثيراً في الواقع ، ولكنني أسرع
أحملك بسيارتني إلى هنا .

شعرت (نادية) بالأسف في هذه اللحظة ؛ لأنها
كانت فاقدة الوعي « عندما حملها (عماد) ..

ودّدت لو أنها تظاهرت بفقدان الوعي مرة أخرى ،
حتى تشعر به وهو يحملها بذراعيه القويتين « كما يحمل
الرجل عروسه في ليلة الزفاف ..

شعرت مع مرأى (عماد) ، أن كل عذابها قد ذاب ،
في بحر الحنان الذي يطل من عينيه ..

انمحي عذابها ، وحلّ محله أمل كبير ، فنهضت من
فراش المرض وهي تقول :

— دعنا نغادر هذا المكان .

ابتسم وهو يقول :

— نعم .. فهو ليس المكان المناسب لك .

تظاهرت بالضعف حتى تستند إليه ، وهما يغادران
المستشفى ، ولكنها لم تكد تلمح سيارته الفاخرة حتى
هتفت في دهشة :

— يا إلهي !! أمتلك هذه السيارة الرائعة ؟

ابتسم وهو يقودها داخل السيارة ، ويحتل مقعد
القيادة ، وقال :

— إنني أمتلك اليوم نصف أكبر شركة سياحية في
الشرق الأوسط .

هتفت في سعادة :

— أنت تستحق أكثر من ذلك يا (عماد) ، وفقك الله .

أدار محرك السيارة ، وانطلق بها ، ثم سألها في اهتمام :

— ماذا أصابك يا (نادية) ؟ .. أنت تبدين ذابلة تماماً .

شعرت برغبة في أن تقص عليه عذابها وهوانها طيلة

العام الماضي ، ولكن كرامتها أبت عليها أن تبدأ مشاعره

نحوها بالشفقة والعطف ، فاكتفت بأن قالت :

— لقد استقلت من عملي ، وتوفيت والدتي .

نظر إليها في عطف ، وقال :

— هل عثرت على عمل آخر ؟

أطرقت برأسها ، وهي تقول في خجل :
- ليس بعد .

عقد حاجبيه لحظة في صمت ، ثم قال في هدوء :
- حسناً فعلت ، فلديّ وظيفة مناسبة لك .

هتفت في فرح :
- أحقاً !!؟

أجابها في هدوء :

- نعم .. وأعتقد أنها وظيفة مناسبة ، وسيروك
الأجر بإذن الله .

لم تحاول أن تسأله عن الأجر ..

لأنه لم يعنها كثيراً في الواقع ..

يكفيها أن تعمل إلى جواره ، ولو بدون أجر ..

تنبت فجأة إلى أنه قد أوقف سيارته ، وقال مبتسماً :
- والآن هل تقبلين دعوتي إلى عشاء عائلي ، مع والدي

والدتي ؟

احمرّ وجهها خجلاً ، وأدارت رأسها لتخفي ابتسامتها
الفرح التي ملأت وجهها ، فوقع بصرها على فيلاً أنيقة
تذكرها جيداً ، فهتفت :

- يا إلهي !! أليست هذه هي الفيلاً ، التي وعدت
يوماً بامتلاكها ؟

ابتسم وهو يقول في فخر :
- لقد فعلت .

ارتجف قلبها فرحاً لهذا النجاح الذي وصل إليه ،
وسارت إلى جواره إلى داخل الفيلاً في سعادة ، حتى أنها
نسيت هزائها وضعفها ، واستقبلها والداه في ترحاب ،
فما زالا يذكرانها منذ كانت تزورهما بصحبة (غريال) ..
هتفت والدتها (عماد) ، وهي تحتضنها في حب :

- يا إلهي !! كم نحلت يا (نادية) !! ألم تنبأولي

طعامك منذ آخر مرة رأيته فيها ؟

لم تدر الأم كم كانت عبارتها صادقة ..

إن الطعام الذي تناولته (نادية) طوال هذا العام ،

كان يكفي لبقائها على قيد الحياة فقط ..

لأنها حتى لم تستطع التهام قدر كاف من الطعام الشهى

المتنوع ، الذي أعدته والدتها (عماد) ..

كان جسدها قد اعتاد كميات الطعام الضئيلة ، وكان

معدتها قد انكمشت . بقدر ما كانت تناول من طعام ..

إنها أيضاً لم تكن تريد أن تأكل .. كان يكفيها التطلع
إلى وجه (عماد) ، وسماع دعاياته في أثناء العشاء ..
حاولت أم (عماد) إقناعها بقضاء ليلتها معهم ، بعد
تناول الطعام ، ولكنها اعتذرت في خجل ، وطلبت
الانصراف ، فقال (عماد) في اهتمام :
— سأوصلك يا (نادية) ، فهناك ما أرغب في التحدث
معلك بشأنه .

اختلج قلبها مع عبارته ..
حاولت استنتاج ما يريده منها ، ولكنها عجزت ..
جمع بها الخيال ، فتصورته يطلب منها الزواج ..
لم يكن هناك ما يبرر إقدامه على هذا ، ولكنها تركت
لخيالها العنان ..

كانت تشعر بالسعادة لمجرد تصور إقدامه على ذلك ..
أمة نفسها تمنّت ذلك ، فهي تعرف (نادية) منذ
زمن طويل ، وترى فيها الإنسانية المناسبة لابنها ، لذا فقد
انحنت على أذن زوجها ، وهمست في سعادة :
— يا لها من فتاة مهذبة طيبة القلب !! إنها تصلح زوجة
رائعة لـ (عماد) .

ابتسم الأب ، وقال :
— هذا شأنه .

أما (عماد) ، فقد ظل صامتاً معظم الطريق إلى منزل
(نادية) ، وتركها تتهادى في أحلامها ، وتبني قصوراً في
الخيال والسعادة والحب ، وقبل أن يصل إلى منزلها ،
أوقف سيارته فجأة ، ومال إليها يسألها في اهتمام :
— هناك أمر يشغلني كثيراً يا (نادية) ، وأرجو أن
أجد لديك جواباً له .. فهل يمكنني ذلك ؟
ازداد اختلاج قلبها ، وتضاعد الأمل في أعماقها ،
وهي تسأله في خجل :
— سل ما بدا لك يا (عماد) .
جاء صوته مفعماً باللهفة ، وهو يسألها في حرارة :
— كيف حال (فريال) ؟
وتحطم في قلبها الأمل .

* ■ ■



عاد والد (فريال) إلى منزله والدهشة بادية في ملامحه ،
وهتف يدعو إليه زوجته وابنته ، فهرعا إليه ، وقد انتقلت
إليهما دهشته ، وسألته زوجته في اهتمام :

— ماذا حدث ؟

هتف وهو يلوح بكفيه :

— لن تصدِّقا .. لن تصدِّقا .

صاحت (فريال) في عصبية :

— أخبرنا أولاً ، ولتر هل نصدق أم لا ؟

جلس على مقعد مواجه لهما ، وقال وهو يحرك

ذراعيه في عصبية :

— أنتم تعلمان أن الشركة تقيم في كل عام رحلة للحج .

وفي هذا العام قرَّر مجلس الإدارة إسناد تلك المهمة ،

لواحدة من كبريات شركات السياحة في الشرق الأوسط ،

وهي شركة النسر للسياحة ، هل سمعتم عنها ؟

هتفت الأم :

— ومن لم يسمع عنها ؟ إنها أنجح شركات السياحة في

مصر ، على الرغم من أنها شركة حديثة جداً .

قال الوالد :

— هذا صحيح .. ولقد أرسلت أطلب مقابلة صاحب

الشركة ، حتى يمكنني الاتفاق معه على أسعار مناسبة ،

ولقد حضر إلى مكنتي بالفعل ، وهذا مبعث دهشتي .

هزَّت (فريال) كتفها في غطرسة ، وقالت :

— وما الذي يدهشك في هذا يا أبتاه ؟.. أنت رئيس

مجلس إدارة شركة كبرى ، و

قاطعها والدها :

— ليس قدومه ما أدهشني يا (فريال) ، بل شخصيته ..

هل تدرين من هو ؟

لم تنطق إحداهما ، وإن بدا التساؤل واضحاً في

عينيهما ، فاستطرد الوالد في لهجة بطيئة :

— خطيبك السابق (عماد) يا (فريال) .

انسعت عينا (فريال) ذهولاً ، من هول المفاجأة ،

على حين هتفت أمها في دهشة :

— (عماد) !؟ ومن أين له أن يمتلك مثل تلك

الشركة العملاقة ؟

قلَّب الوالد كفيه ، وقال :

— لست أدري ، ولكنه يمتلك شركة النسر للسياحة ،
وسيارة فاخرة من أحدث طراز ، وقبلاً أنيقة في مصر
الجديدة .

نعمت (فريال) في ذهشة :

— كل هذا في عام واحد .

قالت أمها في حيرة :

— يا للخسارة !! يا ليتك أبقيت على خطبتك يا (فريال) .

هزّ الأب رأسه ، وقال في أسف :

— لقد حاولت دعوته لتناول العشاء معنا ، ولكنه

رفض بلباقة .

عادت الأم تغغم :

— يا للخسارة !!

ساد الصمت لحظة ، ثم رفعت (فريال) حاجبها في

غرور ، وقالت :

— لا تخشى شيئاً يا أماه .. سيخطبني (عماد) مرة

ثانية .

سألها والداها في آن واحد ، وبصوت يشف عن

لهفتها :

— كيف ؟

تأملت ابتسامة متفطرة على شفيتها ، وهي تجيب :

— هذا شأني .

كانت تثق كثيراً في قوة جمالها الفتان ، وجاذبيتها

المتألقة ؛ لذا فقد حرصت في اليوم التالي على ارتداء أجمل

أثوابها ، وإتقان زينتها في براعة ، ووصفت شعرها البني

المحمر ، على نحو زاد من تألق وجهها وحسنه ..

كانت في هذا اليوم صورة للفتنة المجسمة ..

وذهبت إليه ..

كانت تصعد في سلام الشركة إلى مكتبه . عندما

وجدت نفسها أمام (نادية) ..

تراجعت كلتاها في دهشة ، ثم وقفتا تحدّق كل في

وجه الأخرى في تحدّد ..

كانت (نادية) في هذا اليوم تختلف ..

كانت قد استعادت بعضاً من جمالها وتأنقها ، بعد أن

عملت في الشركة ، إلى جوار (عماد) ..

ولكن مفاجأة رؤية (فريال) ، أعادت إلى وجهها

بعض شحوبه ..

لم تكن قد نسيت بعد ذلك الإحباط ، الذى ملأ قلبها ،
 عندما سأها (عماد) فى نفقة عن (فريال) ..
 كانت يومها تظن أنه سيحبها غرامه لأول مرة ،
 ولكنها فوجئت بأنه ما زال يهتم بأمر (فريال) ..
 يومها بكت كما لم تبك من قبل ..
 بكت حفظها العار ، الذى جعلها تذوب فى هوى
 رجل لا يهتم بها مطلقاً ، ويفيض قلبه بحب فتاة لا توليه
 أدنى قدر من الاهتمام ..
 ولكنها رضيت بقدرها ..
 ارتضت أن تحيا إلى جواره ، وتكتفى برؤيته فى
 الشركة ، بدلاً من أن تعيش إلى جانبه زوجة ..
 ارتضت عذاب الحرمان ، والعيش بلا أجنحة ..
 ولكن عودة (فريال) أرجفت قلبها ، وأنشأت فيه
 مخاوف جديدة ..
 كانت تعلم أن (عماد) سيسترجع حبه القديم
 لـ (فريال) ، فور رؤيته لها ..
 كانت تعلم أن (فريال) ستزعمها بجملها الفتان ، هذه
 المرة أيضاً ..

ظلت تحدق فى وجه (فريال) ، إلى أن قالت هذه
 الأخيرة فى خشونة :
 — ماذا تفعلين هنا ؟
 أجابتها (نادية) فى هدوء :
 — كان ينبغي أن أسألك أنا هذا السؤال ، فأنا أتولى
 منصب مدير الحسابات هنا .
 رفعت (فريال) حاجبيها فى دهشة ، ثم لم تلبث أن
 ابتسمت فى سخرية ، وقالت :
 — هذا يبدو واضحاً ، فما قد استرد جسدك بعض
 وزنه ، واختفى ثوبك البالى .
 عقدت (نادية) حاجبيها فى غضب ، وقالت :
 — دوام الحال من المحال يا (فريال) .
 ضحكت (فريال) فى سخرية ، وقالت :
 — هذا صحيح .. وستؤمنين بهذا أكثر بعد أن أقابل
 (عماد) .
 تركتها فجأة ، ومارت فى خطوات مختالة إلى مكتب
 (عماد) ، فغمغمت (نادية) فى ألم :

— ييلو أنك منتصرين هذه المرأة أيضاً يا (فريال) .
لم تسمع (فريال) هذه العبارة ، ولكنها كانت
تشعر بها قوية في أعماقها ؛ لذا فقد خطت إلى مكتب
(عماد) في ثقة ، وهتفت وهي تندفع نحوه :
— (عماد) .. كيف حالك ، لقد أوحشتني كثيراً .
أسعدها أن لمحت هذا التألق في عينيه ، وهو يضافحها
في لفة ، قائلاً :

— يا إلهي !! كنت أنتظر حضورك إلى هنا بفارغ
الصبر يا (فريال) .
جلست أمامه في وضع زاد من ملامعها إغراء ،
وقالت :
— إنني أفقدك كثيراً يا (عماد) ، بعد أن فرقت بيننا
هذه اللعينة .

عقد حاجبيه وهو يسألها :

— من هذه اللعينة ؟

هتفت في انفعال :

— (نادية) ، ألا تذكرها ؟ .. إنها أخبرت إنسانة
عرفتها في حياتي .. تصور أنها أوهمتني — يومئذ — أنك

غارق في حبها ، ولم أحتمل بالطبع ، فتعاملت معك
بأسلوب مخيف ، وأنهيت خطبتنا .

ثم مالت نحوه ، وهي تردف في دلال :

— ولكنني بكيت طويلاً في ذلك اليوم يا حبيبي .

ازداد انعقاد حاجبيه « وهو يغغم :

— (نادية) قالت لك ذلك !؟

هتفت في حماس مفتعل :

— نعم يا حبيبي .. إنها إنسانة ماكرة لعينة .

انحنى (عماد) فجأة على جهاز الاتصال الداخلي ،

المثبت فوق مكتبه ، وقال في هدوء :

— اطلب من الآنسة (نادية) الحضور إلى مكنتي

فوراً يا (سلطان) .

ارتبكت (فريال) أمام هذا الإجراء ، وقالت :

— لماذا تدعوها ؟ .. هذا أمر يخصنا وحدنا .

ابتسم وهو يسألها في هدوء :

— عجباً !! .. هل كنت تعلمين أنها تعمل هنا ؟

ازداد ارتباكها وهي تهتف :

— أنا ؟ .. مطلقاً .. ولكن

قبل أن تم عبارتها دخلت (نادية) إلى الحجرة ،
وقالت في حيرة :

— هل طلبت حضوري يا (عماد) بك ؟

أشار (عماد) إلى مقعد مجاور له (فريال) ، وقال :

— نعم يا (نادية) .. اجلسي هنا ، فهناك اتهام موجه
إليك .

هتفت (فريال) في ارتباك :

— (عماد) ؟

على حين قالت (نادية) في دهشة :

— اتهام ؟ .. لي أنا ؟

قال (عماد) في هدوء :

— (فريال) تقول إنك سبب فراقنا ، وإنك أخبرتها

أنني غارق في حبك .

هتفت (نادية) في دهشة :

— أنا ؟

صاحت (فريال) ، وهي تخشى أن يفسد موقفه خطتها :

— (عماد) .. اطرده هذه الفتاة ، ودعنا نتحدث

وحدنا .

استدار إليها (عماد) في غضب ، وصاح :

— لماذا يا (فريال) ؟.. ألا يكفيك أن والدك أجبرها على

ترك عملها ، ودفعها إلى العذاب والهوان طيلة عام كامل ؟ ..

ألا يكفيك ما سببتموه لها من ألم طيلة هذا العام ؟

لم تكن الدهشة من نصيب (فريال) وحدها هذه
المرّة ..

(نادية) أيضاً أصابها الدهشة ، فهي لم تخبره بحرف

واحد من هذا ..

لم تطل دهشتها ، فقد غمغت (فريال) في شحوب :

— أمي التي أخبرتك ذلك ؟

هز رأسه نفياً ، وقال في حنق :

— بل والدك الذي فعل يا (فريال) .. أخبرني ما فعله

بهذه المسكينة في تفاخر ، وكأنه يستحق جائزة عن نذالته

وخسته .

صاحت (فريال) :

— ولكنك تحبني يا (عماد) .. لقد لمحت اللمحة في

عينيك وأنت تستقبلني ، وأنت نفسك قلت : إنك كنت

تنتظر حضوري إلى هنا بفارغ الصبر ..

ابتسم (عماد) في سخرية ، وقال :

— هذا صحيح ، ولكنني لم أكن متلهفاً لحضورك إلى هنا لأنني أحبك يا (فريال) ، ولكن لأنني أقسمت يوماً أن أجعلك تندمين على تركك لي .

شحب وجهها ، وهي تقول :

— ماذا تعني ؟

أجابها في قسوة :

— لقد حققت كل ما كنت تعابرينني بفقدته يا (فريال) .. لقد أصبحت أمتلك سيارة فاخرة ، بدلاً من سيارتي الصغيرة التي كنت تسخرين منها دوماً ، وينبغي أن تعلمي أنني ما زلت أحتفظ بالسيارة الصغيرة ، وأعشق التنزه بها ، وأصبحت أمتلك أيضاً نفس الثيلاً التي أعجبتك يوماً ، ولكنني لم أعد أحبك يا (فريال) .

تألق بريق من السعادة في عيني (نادية) ، واختلج قلبها في فرح ، وهي تسمع هذا التصريح من (عماد) ، في حين انهار خيلاء (فريال) ، وهي تغغم في شحوب :

— مستحيل يا (عماد) .. مستحيل .

رفع (عماد) رأسه في كبرياء ، وواصل حديثه في قسوة ، قائلاً :

— هل تعلمين لماذا طلبت من (نادية) الحضور إلى هنا يا (فريال) ؟ .. لتشهد مذلتك ، كما شهدت مذلتها .. ثم أشار إلى باب حجراته ، وقال في صرامة :

— لم يعد لك مكان في حياتي يا (فريال) .. الآن فقط أستطيع أن أقول هذا في ارتياح .. والآن غادري حياتي ومكتبتي ، قبل أن أمر ساعي المكتب بطردك .. اخرجي يا (فريال) .



كان (عماد) يتصور أن انتقامه من (فريال) سيبحث في جسده الراحة ، وفي نفسه الظفر والأمان ، فقد ظل طيلة عام كامل يحلم بهذا اليوم ..

ولكن هذا لم يحدث ..

لم يكد يحول انتقامه إلى حقيقة ، حتى شعر بالحنق على نفسه ، وبمزيد من الخواء في أعماقه ..

كشف أنه ما زال يحمل قلب نسر بين جنباته ..

والنسر لا يعشق الانتقام ..

انتابه الندم بعض الوقت ؛ لأنه هاجم (فريال) ..

لم يكن مبعث ندمه بقايا من الحب في داخله ، ولكنها كانت رجولته ..

شعر فجأة أنه ما كان ينبغي لرجل قوى مثله ، أن يهاجم فتاة مثله ، فهما بلغ خيبتها ، ومهما بلغت غطرستها ، فهي لم تزل فتاة ضعيفة صغيرة ..

انتزع هذا الشعور من قلبه ، تلك السعادة التي تصور أن تملأ حياته بعد الانتقام ..

***** ١.٤ *****

(نادية) أيضاً شعرت بالحزن لما أصاب (فريال) ..

كانت (نادية) مخلوقاً نادراً في العالم ..

على الرغم من كل ما فعلته بها (فريال) ، إلا أنها لم تسعد برؤيتها ذليلة ..

لقد شعرت بالحزن من أجلها ، عندما شاهدتها تنهض من أمام (عماد) شاحبة ، مرتجفة الساقين ، زائغة البصر ، كيامة صغيرة انقض عليها نسر قوى بلا رحمة .. وجدت نفسها تتقدم منها ، وتربت على كتفها في حنان ، وتقول :

— لا تحزني يا (فريال) ..

فوجئت بـ (فريال) تدفعها بعيداً ، وهي تهتف في منقط :

— إيلك عنى .

ثم تندفع إلى الخارج ..

وقفت (نادية) صامتة حزينة لحظة ، ثم التفتت إلى (عماد) ، وعيناها تملآن عتاباً كبيراً ، وهمست في حزن :

***** ١.٥ *****

— ما كان ينبغي أن تفعل بها هذا .

أطرق برأسه في حزن ، ونغم في ألم :

— قدّر الله ، وما شاء فعل .

ظل كلاهما صامتاً مطرّقاً بعض الوقت ، ثم نغممت

(نادية) :

— هل تريد مني شيئاً آخر ؟

هزّ رأسه في بطاء ، وقال :

— سأدعوك إذا ما أردت شيئاً .

غادرت (نادية) مكتبه وهي حيرة ، بين شعورها

بالحزن من أجل (فريال) ، وتلك السعادة المتدفقة في

عروقها ، بعد أن علمت أن (عماد) قد نبذ حبّ (فريال)

إلى الأبد ..

كانت سعادة يشوبها الكثير من القلق والحزن ..

صحيح أنه لم يعد يحبّ (فريال) ، ولكنه ما يزال

لا يشعر بها هي ..

لم تزل بالنسبة إليه مجرد فتاة ، أولاهها الكثير من

العطف والرعاية ، ولكن قلبه لم يخفق يوماً بحبها ...

ما زال الطريق أمامها طويلاً ، ولكنها على الأقل
لم تعد تتعذب ..

لقد ودّعت العذاب منذ التحقت بالعمل في شركته ..

وداعاً للعذاب ، حتى ولو لم يحبها (عماد) ..

أما (عماد) ، فقد كان قلبه في هذه اللحظة يمتلئ
بالعذاب ..

عذاب من نوع جديد ..

لقد كانت رغبته في الانتقام ، هي المحرّك الأول

للحماسه ، من أجل العمل والتفوق ..

والآن انهار هذا الحماس دفعة واحدة ..

كان قد نسي عشقه القديم للطيران ، والتحليق في
السما ..

نسى أنه نسر ، في غمرة العمل ، والرغبة في الانتقام .

والآن عاد إليه عشقه جارفاً قوياً ..

انتابه نفس ذلك الاشتيا ، الذي طالما ملأ جوانحه

وهو بين السحاب ..

ودّ في هذه اللحظة لو أنه استطاع أن يمتطي طائرته ،

ويقلع بها بعيداً .. بعيداً ..

أغلق عينيه ، وتصور نفسه في كابينة طائرته القديمة .
خيل إليه أن النسر المرسوم على مقدمتها يتسم ،
ويضرب الهواء بجناحيه في فرح ..

خيل إليه أنه يجذب عصا القيادة ، فترتفع طائرته ،
وترتفع ، ويرتفع معها خلجان قلبه وخيالاته ..

انتزعه فجأة أزيز جهاز الاتصال الداخلي من أحلامه ،
فانحنى نحوه بسأل في عصبية :

— ماذا هناك ؟

أتاه صوت سكرتيره ، يقول في اهتمام :

— هناك رجل يطلب مقابلتك دون موعد سابق

يا سيدي .

سأله في ضيق :

— من هو ؟

أجابه السكرتير :

— إنه يدعى (فتحي عبد السلام) .

تهللت أسارير (عماد) ، وهتف في سعادة :

— دعه يدخل بحق السماء .

ثم قفز من مقعده ، واستقبل صديقه القديم بين
ذراعيه ، وهو يهتف في سعادة :

— (فتحي) .. كم اشتقت لرؤيتك يا صديقي !!
صافحه (فتحي) في حرارة ، وربت على كتفه
في قوة ، وهو يقول :

— كيف حالك أيها النسر ؟ .. إننا لم نلتق منذ
عام كامل .

لوح (عماد) بكفه ، وهو يقول :

— رويدك يا (فتحي) ، لأنني لم أعد نسياً .

مطأً (فتحي) شففيه ، وقال في حماس :

— النسر يبقى نسياً ، وإن لفظته السماء يا صديقي ،
ولا تنس أنك ما زلت تحمل ترخيص الطيران ، فلا صابتك
البسيطة تمنعك من قيادة الطائرات المقاتلة فحسب .

ابتسم (عماد) في حزن ، وقال :

— النسر فقط هي المقاتلة يا صديقي .

ثم أردف في لهجة مرحة ، وكأنه يحاول الفرار من
الذكرى :

— كيف حالك أنت يا صديقي ؟

ابتسم (فتحى) وهو يقول :

— يبلو أننى أشعر بالغيرة منك دائماً يا (عماد) ..
لقد قدّمت استقالتى أنا الآخر .

هتف (عماد) فى دهشة :

— يا إلهى !!

ثم أردف فى حماس صادق :

— شركتى تحت أمرك يا صديقى ، ستفيدنا خبرتك
كثيراً و

رفع (فتحى) كفه يقاطعه ، وابتسم وهو يقول :

— إننى لا أبحث عن وظيفة يا صديقى ، شكراً لك ،
لقد أتيت أعرض عليك مشاركتى فى مشروع جديد .
اعتدل (عماد) ، وقد عاد إليه حماسه للعمل ،

وسأله :

— هات ما لديك يا صديقى .

اتسعت ابتسامته (فتحى) ، وهو يقول :

— ما رأيك فى امتلاك سربٍ من الطائرات المقاتلة

دفعه واحدة ؟

اتسعت عينا (عماد) دهشة ، ونغم فى حيرة :

— ولكن هذا مستحيل يا (فتحى) .. الدولة
وحدها تمتلك المقاتلات و

عاد (فتحى) يقاطعه ، قائلاً :

— هناك أسراب مقاتلة بحقٍ للمرء امتلاكها
يا (عماد) ، ولكنها لا تقاوم الطائرات الأخرى ، بل تقاوم
مخلوقات أخرى تؤذى المجتمع .

ظهرت الحيرة على وجه (عماد) ، وهو يسأله :

— ماذا تعنى ؟ .. إننى لم أفهم بعد .

قال (فتحى) فى جدية واهتمام :

— هل تعلم كم تخسر الدولة سنوياً بسبب تلك
الحشرات التى تلتهم جزءاً كبيراً من محصولاتنا الزراعية ؟
تألقت عينا (عماد) ، عندما فهم أخيراً ما يعنيه

رفيقه ، فهتف :

— هل تعنى أن نمتلك سرباً من طائرات رش
المبيدات ؟

ابتسم (فتحى) وهو يومئ برأسه إيجاباً ، ويقول :

— هذا ما أعنيه بالضبط ، ولقد حصلت على
ترخيص بإنشاء الشركة ، واستيراد الطائرات الخاصة
لذلك ، ولقد تعجلت الأمور ، فاستخرجت كل ذلك
باسمينا معاً .

ابنسم (عماد) ، وهو يغمغم :

— يا إلهي !!

تابع (فتحي) قوله في هدوء :

— إنني لا أمتلك المال الكافي لإنشاء مثل هذا
المشروع الضخم ، لذا فقد كان وجود شريك بالعمل
أمر حتمي ، وكنت أنت الشخص الذي وقع اختياري
عليه ، نظراً لثقتي في أسلوبك الشريفة ، والروح
المغامرة التي تملأ نفسك . ولقد فضلت أن أعرض
الأمر عليك بأسلوب عملي ، فاستخرجت الأوراق
اللازمة أولاً . ما رأيك ؟

استند (عماد) إلى ظهر مقعده ، وشبك أصابع
كفيه أمام وجهه ، وظل صامتاً فترة طويلة ، ثم اعتدل
فجأة ، وقال في حماس :

***** ١١٢ *****

— إنني أوافق يا (فتحي) .

تهللت أسارير (فتحي) وهو يهتف :

— كنت واثقاً من ذلك .

مال (عماد) على جهاز الاتصال الداخلي ، وقال

في حماس :

— اطلب من (نادية) الحضور إلى مكنتي .

هرعت (نادية) على فوراً لتلبية النداء ، وخفق
قلبها في سعادة . عندما رأت هذا الحماس الذي يملأ
نفس (عماد) ، وهو يشرح لها المشروع الجديد ،
ويطلب منها إجراء الدراسات المالية اللازمة له ..

تألفت عينها في حنان وحب ، حينما تبينت أنه
قد اجتاز مرحلة الألم ، والندم ، والعذاب ..

رقص صوتها فرحاً ، وهي تسأله :

— هل من شيء آخر ؟

أجابها في حماس :

— كلاً يا (نادية) ، ولكنني أريد هذه الدراسة

في أسرع وقت ممكن .

***** ١١٢ *****

(٨ - زهور - طيور بلا أجنحة - ٨)

غادر (فتحى) مكتب (عماد) ، بعد أن زرع فى نفسه الحيرة والتساؤل ، حتى أن (عماد) طلب من سكرتيره ألا يسمح لأحد بمقابلته ساعة كاملة ، ثم مال ليسند مرفقه إلى سطح مكتبه ، واعتمد بذقنه على راحته ، وراح يقلب الأمر فى رأسه ..

ترى .. هل تحبه (نادية) حقاً ؟ ..

هل امتلأت عيناه بالغشاوة ، حتى أنه لم يبصر ذلك ؟ .. عادت إلى ذاكرته فجأة مواقف شتى ، اتخذت فى عقله هذه المرأة صوراً جديدة ..

تذكر خجلها ، وتورّد وجهها ، الذى طالما أثار دهشته ، كلما التقيا فى منزل (فريال) ..

تذكر يوم الحادث الذى أصاب كفه .. لقد نسيت يومها الجرح النازف فى جبهتها ، لتسأله فى لهفة عما أصابه .. تذكر نظراتها الحنون ، حينما كان يقص على (فريال) ما أصابه ..

خيل إليه أن صوتها يعود ، لينساب بكل حنانه وحب

انصرفت (نادية) فى سعادة ، ولم تكد تغلق الباب خلفها حتى هتف (فتحى) :

— يا لك من محظوظ يا (عماد) ! ! هذه الفتاة واحدة من حوريات الجنة برقتها وطيبتها ، وكل ذلك الحنان فى أعماقها .

ابتسم (عماد) ، وقال :

— إنها فتاة ممتازة .

ابتسم (فتحى) بنجيب ، وهو يقول :

— فقط ! ؟

عقد (عماد) حاجبيه ، وقال فى دهشة :

— هذا يكنى .. إنها مجرد مديرة حسابات و

قاطعه (فتحى) :

— هل أنت أعمى ، أم أنك تتظاهر بالغباء ؟ . استيقظ

يا صديقى .. إن هذه الفتاة غارقة فى حبك حتى النخاع .. إنها تعشقك ! وليقطع ذراعى إن لم يكن هذا صحيحاً .



ودفته إلى أذنيه ، عندما كانت تحدثه في سيارته ، يوم
تركته (فريال) ..

استرجع ذهنه ذلك الهتاف ، الذي يفيض بالحب ،
والذي أطلقته قبل أن تفقد وعيها في الطريق ..

استعاد كل هذه الأحداث ، واعترف أنه كان أعمى ..
كشف أن (نادية) كانت تحبه منذ البداية ، وكان
هو غافلاً عنها ..

كشفه هذا أزال من قلبه كل أثر للحقد على (فريال) ..
ترامى له أن (فريال) لم تكن مخطئة إلى هذا الحد ..
لقد أحببت فيه غلافه الخارجي ، دون أعماقه ، وكذلك
فعل هو معها ..

هي لم تر فيه سوى وسامته في زيه العسكري ، وهو
لم ير فيها سوى جمالها الفتان ..

لم يكن من العجيب إذن أن تنهار علاقته بـ (فريال) ،
فقد كانت منذ البداية علاقة واهية سطحية ..

علاقة مظهر لا جوهر ..

ولكن (نادية) تختلف ..

لقد ظل حبها له قوياً مخلصاً ، لم تنل منه الأقدار والظروف ..

***** ١١٦ *****

يا لقلبها الذهبي النادر ..

شعر بحاجة إلى زوجة في مثل إخلاصها ووفائها ..
تعاظم شعوره هذا ، حتى كاد يذهب إليها ، ويطلب
منها الزواج ، لولا أنه تذكر أنه لم ينه علاقته بـ (فريال)
تماماً إلا هذا الصباح ..

أدهشه أن يتذكر أن موقفه الصارم مع (فريال) ،
لم يمض عليه أكثر من بضع ساعات ..

بضع ساعات بدت له كالدهر ..

خشى في هذه اللحظة أن يكون متسرعاً ..

صحيح أن (نادية) تحبه ، ولكن هل يحبها هو ؟ ..

كان يخيفه أن يكون اهتمامه بـ (نادية) وليد ذلك
الفراغ ، الذي أحس به بعد انصراف (فريال) من
مكتبه ذليلة ..

كان يخيفه أن يظلم القلب الذي أحبه هذه المرأة ..

ظلت حيرته قوية في أعماقه ، حتى بعد أن عاد إلى
منزله ، ولم يكن من العسير على والديه أن يلاحظا حيرته ،
فهو لم يتناول سوى القدر اليسير من الطعام ، وهو شارد
الذهن تماماً ، مما دفع والدته إلى سؤاله :

***** ١١٧ *****

— ماذا بك يا ولدى ؟

رفع إليها عينيه في شروء ، ودار في أعماقه صراع قوى ..

هل ينبغي له استشارة والديه في الأمر ؟ ..

هل من الصواب أن يشاركهما حيرته ، ويبحث عندهما

عن المشورة ؟ .. أم أن الأفضل أن يحتفظ بحيرته لنفسه ؟ ..

قبل أن يصل عقله إلى جواب ، وجد نفسه يندفع

ليقص عليهما القصة كلها ..

قص عليهما كشفه أن (نادية) تحبه ، ولكنه أخفى

عنهما ما فعله بـ (فريال) في مكتبه ..

ربما لأنه كان يشعر بالحجل من موقفه معها ..

استمع إليه والداه في اهتمام ، حتى فرغ من حديثه ،

فساد الصمت بعض الوقت ، ثم قالت الأم :

— أصارحك القول إنني أحب (نادية) هذه ، وأراها

زوجة مناسبة لك يا ولدى .

قال الأب معترضاً :

— ينبغي أن يشعر أولاً بحبه لها ، فليس من العدل أن

يتزوجها ، وهو لا يحبها ..

اشتركت الوالدان في نقاش جاد ، دون أن يشاركهما (عماد) ..

كانت الأم تقول في حماس :

— لو أنها تحبه ، فستجبره على حبها بعد الزواج .

— وماذا لو لم يحدث هذا ؟

— مستحيل .. حسن المعاشرة يخلق الحب دوماً .

— ربما كان هذا صحيحاً في جيلنا ، حيث لم يكن الزوجان

يلتقيان إلا ليلة زفافهما ، أما الآن فالأمر يختلف .

— هذا ما يظنه أبناء الجيل الجديد ، ولهذا تفشل معظم زيجاتهم .

— إنهم يؤمنون بضرورة الحب قبل الزواج .

— ربما ، ولكنهم يغالون في حبهم ، حتى أن بعضهم

يصاب بصدمة قوية بعد المعاشرة ، عندما يزول قناع النوايا

الحسنة ، ويبدو كل منهما على طبيعته .

— هذا لا يحدث كثيراً .

— هذا ما تظنه .. انظر لقصة (عماد) و (فريال) ،

تجد فيها مثلاً واضحاً لما أقصده أنا .

— إذن فأنت توافقين على زواجه بها .

— بالطبع .

هتفت الأم بعبارتها الأخيرة في حماس ، ثم التفت إلى

ولدها ، وقالت :

— صدقتي يا ولدي ، لو أنك تزوجت فتاة حسنة
الخلق ، طيبة المعشر مثل (نادية) ، ونحبك أيضاً ،
فستلوب في حبها قبل أن يمضي شهر العسل .
شعر (عماد) بمزيد من الحيرة أمام آراء والديه
المتناقضة ، فغمغم :
— ربما يا أماء .

ثم أردف ، وكأنما اتخذ قراره :
— ولكن الانتظار لن يضيرنا كثيراً ، وربما أكشف
ذات يوم أنني حقاً أحبها ، أما الآن
بتر عبارته وهو ينهض ، وكأنه يعلن انتهاء الحديث ،
وقال في هدوء :

— سأذهب إلى حجرتي ، فأنا أحتاج إلى البقاء وحيداً
بعض الوقت .

تابعه والداه ببصريهما وهو ينصرف ، ثم مالت الأم
على زوجها ، وهمت في حنان :
— أراهنك أنه سيتزوجها .
ابتسم في أبوة ، وغمغم في حنان مماثل :
— فليفعل الله ما فيه الخير .

صعد (عماد) إلى حجرتة ، دون أن تخفت حيرته ،
أو يقل تساؤله ..

نزع ثيابه في آلية . وارتدى منامته ، ثم استلقى ساكناً
فوق فراشه . وعاد ذلك التساؤل الملح يملأ رأسه ..
هل يطلب (نادية) للزواج ؟ ..

إنه يعلم أنها إنسانة ممتازة . تصلح زوجة مثالية ، وأماً
رائعة لأولاد فيما بعد ، ولكن هل من الصواب أن يتزوجها
قبل أن يتبين حقيقة مشاعره نحوها ؟ ..

خشى في هذه اللحظة أن يكون مبعث ارتباطه بـ (نادية)
هو الشفقة والعطف فقط ..

تذكر كم شعر بالثورة في أعماقه ، عندما قص عليه والد
(فريال) ما فعله بها ..

ولكنها طبيعته ..
إن قلب النسر في أعماقه يأبى الظلم دائماً ، ويغضبه .
إنه يتعاطف دوماً مع الضعفاء والمظلومين ..

زادت حيرته ، ولم يستطع حتى إغلاق جفنيه ، وظل
السؤال يدور في رأسه في إصرار وإلحاح :
— هل يحبها ؟ !

* * *

تبدلت نظرة (عماد) تماماً إلى (نادية) منذ ذلك اليوم ..
 بدأ يشعر حقاً بحبها له ، وتغانيها في إسعاده ..
 ولكنه لم يتأكد من حقيقة مشاعره نحوها حقاً ..
 لم يشعر بمثل هذا التردد ، وهذه الحيرة في حياته مطلقاً ..
 حتى عندما كان يشترك في أصعب المناورات القتالية
 في السابق ، لم يكن يتردد لحظة واحدة ..
 كانت مهارته تعود إلى قدرته الفائقة على اتخاذ القرار ،
 ووضع موضع التنفيذ في جزء من الثانية ..
 وفي عالم النور ، قد يكون هذا الجزء من الثانية هو
 الفاصل ، بين الحياة والموت ..
 لم يكن يتردد أمام الموت ، وما هو ذا يتردد أمام
 الحياة ..

أدهشه في ذلك اليوم أن سأله (نادية) :
 - ماذا بك ؟

رفع عينيه إليها في دهشة ، وقال :
 - ماذا تعنين ؟

قالت في قلق :

- أنت تبدو شديد الحيرة .

أثارت كلماتها عجبه ..

هل تبدو حيرته واضحة إلى هذا الحد ؟ ..

أم أن حبّ (نادية) له قد جعله بالنسبة لها كالمرآة ،

ترى فيها أعماقه ومشاعره في سلاسة ؟ ..

ظل يحدّق فيها لحظة ، ثم اغتصب ابتسامة وهو

يقول :

- لا شيء بالتحديد ، ولكنني أفكر في المشروع

الجديد .

قالت (نادية) في حماس :

- مشروع طائرات رش المبيدات .

أوما برأسه إيجاباً ، فهتفت :

- لا تخش شيئاً بشأنه ، لقد درسه قسم الحسابات

جيداً ، ووجدته مشروعاً مربحاً للغاية .

ابتسم حينما شعر بحماسها من أجله ، واعتدل في

مقعده يقول :

— هل درست الأمر بنفسك ؟

أجابت بنفس الحماس :

— نعم .. وأنا أشعر بالتهاؤل به .

اتسعت ابتسامته وفتح شففيه لينطق بشيء ما ،

ولكنه لم يفعل ..

قبل أن ينطق بحرف واحد ، اتبعث صوت سكرتيره ،

عبر جهاز الاتصال الداخلي ، يقول :

— السيد (فتحى عبد السلام) يطلب مقابلتك ياسيدى .

تهللت أسارير (عماد) ، وهو يهتف فى حماس :

— لا تجعله يطلب الإذن بمقابلتى بعد الآن ، دعه

يدخل إلى مكتبى فور قدومه ، لقد أصبح شريكى .

دخل (فتحى) منفرج الأسارير ، وصافح (نادية)

وهو يقول فى مرح :

— كيف حالك يا (نادية) ؟ .. هل تعلمين أننى

أصبحت أتناول بوجهك ؟

ابتسمت وهى تطرق خجلاً ، فالتفت هو إلى

(عماد) ، وصافحه فى حرارة ، قائلاً :

— لقد وصلت الطائرات ، وكذا الطيارون

البولنديون ، الذين تعاقدنا معهم .

(عماد) فى حماس :

— أحقاً ؟!

صاحت (نادية) فى فرح :

— تقبل تهنأتى يا (عماد) .

لوح (فتحى) بكفه ، وقال فى حماس مماثل لحماس

(عماد) :

— هيا أيها المدير .. سربك الخاص ينتظر أوامرك

للإقلاع .

ضغط (عماد) زرّ الاتصال الداخلى ، وقال

لسكرتيره فى حماس وانفعال :

— ألغ جميع مقابلاتى اليوم ، فأمامى عمل خارجى هام .

ثم صاح لـ (فتحى) :

— هيا بنا يا شريكى العزيز .

تحرك فى خطوات سريعة نحو (فتحى) ، ثم توقف

فجأة ..

تردد لحظة .. ثم التفت إلى (نادية) ، وابتسم وهو يقول :

— هيا بنا يا (نادية) .

لم تستطع (نادية) إخفاء فرحتها ، وهي تهتف :

— هل تريدني أن أرافقكما ؟

اتسعت ابتسامته ، وامتلاأت بخنان أثلج صدرها ، وهو يقول :

— بالطبع .. ألم تسمعي ما قاله (فتحي) ؟ .. إننا نفاءل بك .

موقفه هذا أثار فرحها .. وحيرتها معاً ..

لم تفهم ما إذا كان نفاءل بوجهها فقط ، أم أنه يريد منها أن تشاركه هذه اللحظة ، التي يبدأ فيها عملاً جديداً .. كانت قد لاحظت تغييراً واضحاً في معاملته لها ، منذ أول لقاء له مع (فتحي) ، ولكنها لم تفهم سبب هذا التغيير ..

كانت نظراته لها منذ ذلك اليوم تحمل مزيجاً من القلق ، والترقب ، والحيرة ..

كان أسلوبه معها يختلف .. حاولت أن تبحث عن سبب واضح لهذا التغيير دون جدوى ..

حتى وهي تجلس في المتعد الخلفي لسيارته ، وهو ينطلق بها ، وإلى جواره (فتحي) ، إلى حيث تقبع الطائرات الجديدة ، كانت تلاحظ أنه يختلس النظر إليها في المرآة الأمامية لسيارته ، وعيناه تجملان النظرة ذاتها .. أربكتها نظراته ، وبعثت في نفسها الحيرة ، وسألت نفسها :

— ماذا تعني نظراته هذه ؟

هو أيضاً كان يفكر بشكل يمتلئ حيرة وقلقاً في هذه اللحظة ..

كان قد سئم التردد والتفكير ، وقرّر أن يتخذ خطوة حاسمة في الأمر ..

مرأى وجهها في مرآة السيارة بعث في نفسه ارتياحاً غامراً ..

سأل نفسه :

— لماذا لا أتزوجها ، ما دامت زوجة مناسبة ؟ ..

تذكر أن والده لم يكن يحب والدته قبل الزواج ،
ولكنهما كانا مثالا للزواج الناجح الجميل ..

كانت (نادية) تذكره بوالدته ، في سماحتها ، وطيبتها ،
وحنانها ..

لا ريب أن حسن المعاشرة يؤدي إلى الحب حقا ، كما
تقول والدته ..

قرّر في هذه اللحظة أن يطلبها للزواج ، وليأت الحب
فيها بعد ..

لم يكن قراره هذا مرضيا له ، ولكنه كان إنهاء لحالة
القلق والحيرة ، التي تفتابه منذ علم بحبها له ..

كاد يسألها الزواج في اللحظة ذاتها ، لولا وجود
(فتحى) ، فقرّر أن يسألها ذلك فور عودتهما ..

كان غارقا في أفكاره ، عندما هتف (فتحى) في مرح :
— هاهو ذا سربنا يا شريكى العزيز .

نسى (عماد) في هذه اللحظة كل شيء عن (نادية) ،
واختلج قلبه مع مرأى الطائرات ، التي تبارق تحت ضوء
الشمس ..

بدا كالمسحور ، وهو يوقف سيارته إلى جوار
الطائرات ، ويهبط منها واللهفة تملأ كيانه كله ..

لم ينتبه إلى تحيات الطيارين البولنديين له ، وهو يسير
مشدوها نحو الطائرات ..

نغممت (نادية) في قلق :
— ماذا أصابه ؟

ابتسم (فتحى) ، وربّت على كتفها ، وقال :
— إننى أفهم ما يشعر به يا (نادية) .

ثم أردف في حنان :
— لا تنسى أنه نسر .

تابعته (نادية) ببصرها في قلق ، وهو يقف أمام إحدى
الطائرات مأخوذاً ، وعقدت حاجبها في دهشة ، عندما
رأته يربّت على جسد الطائرة ، ويهمس لها بكلمات لم
تفهمها ..

أسرعت الخطا إليه ، وابتسمت في قلق ، وهي تنغم
إلى جواره :
— هل تعجبك ؟

أدهشها أن أشار إلى مقدمة الطائرة ، وقال في حنان
عجيب :

— ينبغي أن يكون هناك نسر مفروود الجناحين .

سألته في حيرة :

— أيرمز ذلك إلى اسم الشركة ؟

تأملت عبثاً ، وهو يقول في حماس :

— بل يرمز لسطوة النسر في السماء .

عجيبة هي قلوب النساء ..

لقد شعرت (نادية) بالغيرة من الطائرة ..

شعرت بالغيرة من كتلة من المعادن والآلات ..

بدت لها الطائرة في هذه اللحظة غريبة لا يستهان بها ..

كم حسدت الطائرة على تلك النظرات المتألقة بالحُبِّ

والحنان ، والتي يرمقها بها (عماد) !! ..

كم تمنيت لو أنه يمنحها يوماً نظرة واحدة منها !!

انتزعها من أفكارها صوت أحد الطيارين البولنديين ،

يقول بالإنجليزية :

— هل أعجبتمك الطائرات أيها القائد ؟

انتفض (عماد) وكأنه بفيق من حلم عميق ، واستدار
إلى الطيار البولندي في ذهول ، ثم لم يلبث أن هتف :

— إنها رائعة .. رائعة .

ثم استدار يواجه مجموع الطيارين ، ويسألهم في حماس :

— هل تطيعكم طائراتكم أيها النسر ؟

هتفوا جميعاً بالإيجاب ، عدا أحدهم ، فقد تردد

لحظة ، ثم قال :

— أعتقد أن طائرتي لا تستجيب بالقدر الكافي أيها

القائد .

هتف (عماد) في جزع :

— كيف ؟

قاده الطيار إلى الطائرة ، وهو يقول :

— إن محركها يصدر صوتاً عالياً بعض الشيء .

تأمل (عماد) الطائرة في لهفة وأسى ، كما يتأمل

الحبيب محبوبته المريضة ، وفجأة توقف بصره عند نقطة

في مقدمة الطائرة ، وشعر بقلبه يدق في عنف ..

كان الطيار البولندي قد أضاف لطائرته رسماً يمثل

نسراً مفروود الجناحين ، تطل من عينه نظرة حماسية بالغة ..

اندفع (عماد) نحو النسر المرسوم ، يتحسسه في شوق ، أعاد إليه كل حنين النور إلى السماء ، ثم أسرع ينتزع سترته ، ويشمر عن ساعديه ، وهو يهتف في حماس :
— لا ترك طائرتك مريضة أبداً أيها النسر .

لم تتدخل (نادية) ، ولم ينطق (فتحي) بكلمة واحدة ، عندما انهمك (عماد) مع الطيار البولندي في إصلاح محرك الطائرة ، غير مبالي بحلته الأنيقة ، باهظة الثمن .
وقفت (نادية) تتأمل في دهشة ، وكأنها ترى رجلاً آخر ..

رجلاً غاص حتى التخاع ، في عمل استغرق حواسه كلها ..

رجلاً هو في أعماقه نسر ، يضرب بجناحيه في سماء أحلامه .

انتهى (عماد) والطيار من إصلاح محرك الطائرة ، فهتف (عماد) في فخر :

— لقد انتهت آلامها يا رجل .

وقف يتأمل سطح الطائرة اللامع في نشوة ..

لم ير صورته المنعكسة على سطحها ، وقد تهدأت خصلة من شعره الأسود على جبينه ، فزادت من وسامته ..
رأى وجهه كما كان منذ عام وبضعة أشهر ..

خيل إليه أنه ينظر في مرآة تعكس صورته بزيه الرسمي ، والنسر اللامع على كتفيه ..

كان مبهوراً أمام الطائرة ، حتى أن (نادية) عادت تنغم في مزيد من القلق :
— يا إلهي !! ماذا أصابه ؟

عقد (فتحي) ذراعيه ، وقال وهو يتأمل (عماد) :
— دعيه يفرغ عواطفه يا (نادية) .. هذا أكثر فائدة له .

ارتفع فجأة صوت الطيار البولندي ، وهو يقول :
— أعتقد أنها قد أصبحت صالحة ، ولن يمكنني الجزم قبل تجربتها .

تألفت عينا (عماد) فجأة بفيض من الحماس ، وقال في حزم :

— كلا يا صديقي .. سأقودها أنا هذه المرة .



خفق قلب (نادية) في ذعر ، عندما نطق (عماد) بعبارة ، وشعرت بجسدها ينتفض ، ولسانها ينعقد ، فيعجز عن النطق ، على حين هتف (فتحى) في قلق :
- ماذا تقول يا صديقي ؟ .. دع هذا العمل للرجال الذين تعاقدنا معهم من أجله .

ابتسم (عماد) ، وهو يقول في حماس :
- سأقوم أنا بهذا العمل يا صديقي .

انقبض قلب (نادية) ، وهتفت في ذعر :
- كلاً يا (عماد) .. أرجوك .

نظر إليها (عماد) في دهشة ، ثم ضحك وهو يقول في ثقة :

- ماذا يقلقكما ؟ .. إنها طائفة رش مبيدات ذات محركين ، إننى أستطيع قيادتها وأنا مغمض العينين .
ثم أردف ضاحكاً :

- ثم إننى لم أزل أملك ترخيص الطيران .
لم تكن هناك قوة في الأرض بقادرة على منع (عماد) ، من تنفيذ ما اعتزمه ..

كان هذا قلعه ، أو هو قلعه (نادية) ، التى انتفض قلبها وهى تراه يتخذ مقعده داخل الطائرة الصغيرة ، وانسالت دمة ساخنة من عينيها ، حينما أدار محركها ..
لم يشعر (عماد) بعذاب (نادية) وحيرتها ..
كانت عروقه كلها تنبض بالسعادة ، وهو ينطلق بالطائرة الصغيرة فى الممر الترابي الطويل ، وسط الحقول الخضراء ..

لم تكن هذه الطائرة تشبه ، بأى حال من الأحوال ، طائرتة المقاتلة فى السابق ..

ولم يكن الممر الذى تنطلق فيه ، يشبه تلك الممرات الممهدة فى قاعدة التدريب ..

ولكن (عماد) كان يشعر بنشوة لا تعادلها نشوة ..
كان يشعر أنه عاد نسياً يحقق بجناحيه ..

ارتجف جسده كله فى نشوة ، عندما ارتفعت الطائرة فى السماء ..

لا يوجد مخلوق واحد فى العالم أجمع ، يمكنه أن يصف مشاعر (عماد) فى هذه اللحظة ..

هو نفسه لا يستطيع أن يصف كل هذه السعادة فى أعماقه ..

لقد صعد بالطائرة يشق بها أجواز السماء ، كنسر
ينعم بجناحيه ، بعد أن طال افتقاده لها طويلاً ..

نسى لحظة أنه يقود طائرة صغيرة ، فزاد من سرعتها
وانطلق بها عالياً وسط السحاب ..

زارت الطائرة الصغيرة في ألم ، وهي تبذل مجهوداً
يفوق الإمكانيات التي صنعت من أجلها ، ولكنها أطاعت .

هؤلاء الذين يقفون بأقدام ثابتة على الأرض ، هم من
تولاهم الفزع ..

ارتجفت قلوبهم ، وهم يشاهدون ما يفعله (عماد)
بالطائرة الصغيرة ..

كان (فتحي) أكثرهم قلقاً ..
ربما لأنه أكثرهم علماً بالطيران ومخاطره ..

لم يستطع كتمان مخاوفه ، وهو يغمغم :
— يا إلهي !! ما الذي يفعله هذا المجنون ؟

تعلقت (نادية) بذراعه « بأصابع مرتجفة ،
وصرخت في ذعر :

— هل يتعرض للخطر ؟
نعم (فتحي) ، وهو يتابع الطائرة الصغيرة في قلق :

***** ١٢٦ *****

— ليس بعد .. ولكنه يسند إلى الطائرة ما يفوق قدراتها ..
ارتعد جسد (نادية) ، وازدادت تشبهاً بذراع

(فتحي) ، وهي تهتف بصوت مرتجف :
— ينبغي أن نمنعه .. ينبغي أن نفعل ..

هز (فتحي) رأسه ، وقال في أسف :
— لم يعد بإمكاننا ذلك .

ثم أشار إلى الطائرة ، التي بدت كنقطة صغيرة وسط
السحاب ، واستطرد :

— هو وحده يملك أمره هناك .
نعم .. هو وحده يملك أمره ..

ولكن القدر يملكهما معاً ..
لقد نسي (عماد) كل شيء وهو يميل بطائرته يمنة

ويسرة ..
نسى عمله ، وآماله ، وأحلامه ..

نسى (نادية) ، و (فريال) ، و (فتحي) ..
نسى الدنيا ، وشركة السياحة ، ومشروع طائرات

رش المبيدات ..
نسى كل شيء ، إلا أنه يطير بين السحاب ..

***** ١٢٧ *****

وفجأة .. تنهى إلى مسامعه ضجيج غير مألوف ،
يتصاعد من محرك الطائرة ..

ضجيج جعله يعقد حاجبيه ، ويغمغم في قلق :
— يا إلهي !! ماذا يحدث ؟

كان يعلم بخبرته ما أصاب طائرته ..
وكان ما أصابها كفيلاً يث الرعب في أشد القلوب بأماً ..
وهناك على الأرض ، صرخ أحد الطيارين البولنديين :
— يا للسماء !! لقد فقد السيطرة عليها .

وصرخ (فتحى) في ذعر :
— يا إلهي !! (عماد) .

احتبست الكلمات في حلق (نادية) من شدة الرعب ،
ورفعت عينيها المذعورتين إلى السماء ، ولم تكذب تفعل حتى
صرخت بكل ما في أعماقها من قوة ولوعة ..
هناك بين السحاب كان حياً ينهار ..
كانت أحلامها تتلاشى ..

كانت طائرة (عماد) الصغيرة تهوى ، كطير فقد
جناحيه .



١٥ - النهاية ..

ترنحت (نادية) كطير ذبيح ، وهى تلمح الطائرة
الصغيرة ، التى تهوى فى سرعة ..

لم تستطع احتمال المشهد ..

كانت هذه الطائرة الصغيرة تحمل كل ما يعنىها فى
الحياة ..

تحمل أملها ، وحلمها ، وحبها ..

تحمل الرجل الوحيد فى هذا العالم ، الذى منحته
قلبها ..

خيل إليها أن هذا القلب كاد يتوقف ، من شدة بأسها
ولوعتها ..

أخفت وجهها بين كفيها ، وتراجعت تستند إلى
مقدمة سيارة (عماد) وهى نبكى ..

كانت تظن أن عذابها قد انتهى بقربه ، فإذا بها تشهد
أشد لحظات حياتها عذاباً ..

كانت تمخى وجهها بين كفيها ، وتنخرط فى بكاء

عنيف ، عندما سمعت هتافاً قوياً ، ينطلق من حناجر
الطيارين ..

رفعت كفيها عن وجهها ، وتطلعت إلى السماء ،
ولكنها لم تفهم شيئاً ..

كانت طائرة (عماد) تنزلق في نعومة فوق الهواء ،
وهي تقترب من الأرض ..

ولكنها رأت ابتسامة ارتياح على وجه (فتحي) ،
وسمعت أحد الطيارين يهتف في حماس :

— إني لم أشهد عرضاً أروع من ذلك .

اختلج قلبها فرحاً ، وهي تسأل (فتحي) :

— هل نجا ؟ .. أخبرني بالله عليك .

كانت عجالات الطائرة الصغيرة تمس أرض المهبط
الترابي في رفق ، عندما هتف (فتحي) في إعجاب
وسعادة :

— لقد لقنهم (عماد) درساً في فنون الطيران ..

لقد توقف محرك طائرته بين السحاب ، فتعامل معها

كما لو كانت طائرة شراعية ، من طائرات التدريب (*) ،
وهبط بها بأبرع أسلوب شاهده في حياته كلها ..
لقد أثبت مرة أخرى أنه نسر ، بل إن النسور الحقيقية
لتحسده على براعته هذه المرة .

لم تصدّق (نادية) أذنيها ..

لم تصدّق ما سمعته ، إلا عندما رأت (عماد) يهبط
من الطائرة الصغيرة ، سليماً معافى ، وسط هتافات
الإعجاب ..

عندئذ فقط انفجرت بالبكاء ..

ولكن دموعها هذه المرة ، كانت تحمل كل سعادتها
وحبها ..

لم يعد يهمها الآن أن يحبها (عماد) ، أو لا ..

لم يعد يهمها سوى أنه نجا ..

كانت دموعها تملأ عينيها ، عندما رآته يندفع نحوها
مبتسماً ..

(*) الطائرة الشراعية : هي نوع من الطائرات بدون محرك ، تقطع
دائماً عن طريق طائرة أخرى ، ثم يهبط بها قائداً معتمداً على تيارات الهواء
وحدها ، وهي تستخدم عادة في التدريب .

قبل أن تنطق بكلمة واحدة ، وجدت كفيها
الصغيرتين في قبضتيه القويتين ، وسمعت يهتف في انفعال
صادق :

— أنا أحبك يا (نادية) .. أحبك .

انتفض جسدها للكلمة التي طالما تآقت إليها من شفتيه ..
لم تكن تتوقع أن تسمعها في هذا الوقت أو المكان ،
أو حتى تلك الظروف ..

خيل إليها أن أذنيها تخدعها ، ولكنه كرّر في فرح :

— (نادية) .. أقول إنني أحبك ، من كل قلبي .

همست في صوت مرتعد :

— (عماد) ! .. ماذا تقول ؟

هتف في سعادة :

— أقول ما أؤمن به حقاً يا (نادية) .. أنا أحبك .

تجمدت الدموع في عينيها ، وهي تنظر إليه في ذهول ،

فاستطرد في حماس :

— أنت لا تعرفين طبيعة النشور يا (نادية) .. إنهم

حينما يواجهون خطر الموت ينسون أنفسهم تماماً ، ولا

يذكر الواحد منهم سوى أحب الناس إلى قلبه .

ثم أشار إلى السماء ، متابعاً في انفعال :

— وهناك .. وأنا أرى الموت بعيني بين السحاب ،

لم يكن في رأسي وقلبي غسبك يا (نادية) .. تأكدت

لحظتها أنني أحبك .. أحبك بكل مشاعري وأحاسيسي ،

بل إن حبك كان دافعي الوحيد للإصرار على الهبوط سالماً .

عادت الدموع تنسال من عينيها ، وهي تخغم في سعادة

لا توصف :

— (عماد) ..

رفع كفه لمسح دموعها ، وهو يقول مبتسماً :

— كلاً يا (نادية) .. لا دموع بعد اليوم .

أراحت وجنتها على كفه ، وهي تقول في سعادة :

— إنها دموع السعادة يا (عماد) .. لم أصدق أنك

تشعر بي أخيراً .

همس في أذنها بحب وحنان :

— ستكون سعادتنا دائماً بلا دموع يا حبيبتى .. لأنني

لم أعد أشعر بأحزاني السابقة .. لقد عدت نسرأ ، وحظيت

بأرق إنسانة في الوجود ..

ثم أردف في وله :

— (نادية) .. هل تقبليني زوجاً ؟

ارتفعت دماء الحجل إلى وجنتيها ، وتألفت السعادة

في عينيها وهي تهمس :

— هل تسألني ؟ ..

مالت الشمس إلى الغروب ، وامتد فوق الأرض

الخضراء ظل لطائر ين يحلقان معاً في سماء الحب ..

طائران بلا أجنحة ..

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع : ٧٨٤٨

المؤلف



د. نيل فاروق

السلسلة الوحيدة التي لا يجد الأب أو الأم حرجاً من وجودها بالمنزل

طيور بلا أجنحة

(عماد) نسر من نسور

القوات الجوية، وجد نفسه

فجأة وقد لفظته سماء السور، وطال

عذابه بين آلامه، وبين (فريال)

و (نادية) .. كان عليه أن يقاوم

هذا العذاب، أو يعيش عمره

كله طائراً بلا أجنحة.



التمن في مصر
وما يعادل دولاراً أمريكياً في سائر الدول العربية والعالم

